بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٦٢

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

مارس ٢٠١٧م — March 2017

العدد العاشر- المجلد الثاني والستون – جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع،وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي

محمد عبد الله الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ — ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231

Mob: 9889336348 Email: albaas1955@gmail.com

محتويات العدد

العدد العاشر - المجلد الثاني والستون - جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ

❖ أخي القارئ : سعيد الأعظمي الندوي ٣

❖ الافتتاحية :

تطورات عملية لبناء الإنسان ! سعيد الأعظمي الندوي ٤

❖ التوجيه الإسلامي :

القرآن الحميد والصحف السماوية القديمة سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن الحسني الندوي ٩

جوانب بلاغية في سورة آل عمران معالي الشيخ الدكتور راشد عبدالله الفرحان ١٥

❖ الدعوة الإسلامية :

من جوانب التربية المحمدية لهذه الأمة المجيدة الشيخ الطاهر بدوي الجزائري ٢٢

الماءُ نعمةً ونقمةً الأستاذ عبد المجيد المدني ٢٨

❖ الفقه الإسلامي :

الدّعاء الجماعيّ للميّت بعد الدّفن د . خالد السّعد ٣٥

شبهات حول التمذهب الفقهي ، دراسة تطبيقية الدكتور عبد الإله بن حسين العرفج ٣٩

زراعة الأعضاء البشرية في ضوء الشريعة الإسلامية د . خورشيد أشرف إقبال الندوي ٥٢

❖ دراسات وأبحاث أدبية وتاريخية :

المدينة المنورة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ٦١

السيرة العطرة لأمهات المؤمنين : نموذج للمرأة المسلمة د . محمود حافظ عبد الرب مرزا ٦٨

جهود ندوة العلماء لإصلاح المنهج الدراسي ..... الأستاذ عبيد الرحمن الندوي ٧٦

❖ صور وأوضاع :

هل تتحول أمريكا دولة استعمارية ؟! الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي ٨٣

مدينة حلب لها الله وحده ! البروفيسور اشتياق أحمد الظلي ٨٧

❖ تقرير موجز عن :

عشرة أيام في ضيافة خادم الحرمين الشريفين محمد فرمان الندوي ٩٠

❖ إلى رحمة الله تعالى :

١. العالم الكبير الشيخ سليم الله خان إلى رحمة الله تعالى قلم التحرير ٩٧

٢. الشيخ فضل الرحمن الواعظي الندوي في ذمة الله تعالى " " " ٩٧

٣. الدكتور محمد هاشم القدوائي إلى رحمة الله تعالى " " " ٩٨

٤. الشيخ لطيف أحمد البخاري إلى رحمة الله تعالى " " " ٩٩

٥. الشيخ نظر محمد البهرائشي إلى رحمة الله تعالى " " " ٩٩

٦. وفاة الطالب عمران خورشيد في حادث اصطدام " " " ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نحمد الله سبحانه وتعالى على أنه أكرم أعضاء أسرة مجلة البعث الإسلامي بالتوفيق الغالي لدعم فكرة " البعث الإسلامي " عن طريق الصحافة العربية البناءة وبالعمل الإيجابي في هذا المجال ، ولعل إخوتنا الكرام من قراء المجلة يذكرون هتاف البعث العربي في الخمسينيات من القرن العشرين ، الذي كانت تروجه طائفة من الناس ممن كانوا ينادون بالقومية العربية التي رفع لواءها بعض أهل الحكم في دولة عربية ، ولم يقصروا في ترويجها في العالم العربي بوجه خاص ، ولكن خفت هتافها وضعف تأثيرها ، وزال وجودها بعد مدة قليلة .

أما فكرة البعث الإسلامي بإزاء ذلك الهتاف فقد نالت آذاناً صاغية وعقلاً واعياً ، وأقلاماً وادعة ، وبذلك اتسع نطاقها ، وكثر أنصارها ، وتزايد الإقبال عليها في عالم العلم والثقافة وفي أوساط العلماء والأدباء في العالم العربي .

ذلك لأنها سايرت الصحافة الإسلامية العربية ، والصحف والمجلات الهادفة ، فأنعم الله تعالى عليها بمدة عامرة بالدعوة إلى الله ونشر الفكر الإسلامي ، ووفقها لكي تمثل دوراً إيجابياً في عالم متطور بالآليات العلمية والثقافية وحافل بالوسائل المتوافرة والطاقات العملية الشفافة .

بهذا العدد يكتمل العام الثاني والستون من " البعث الإسلامي " وهي مدة أجيال نرجو أن تكون قد توافقت على هذه الخطوة وآمنت بغذائها الديني والدعوي ، وعلى إسهام المجلة في صالح الصحافة العربية الإسلامية .

سلام على المشرف الأعلى للمجلة سماحة العلامة الإمام الندوي (رحمه الله) ، وشكر وثناء على خلفه الصالح العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي حفظه الله تعالى ، وسلام على مؤسس هذه المجلة ورئيس تحريرها الأول سعادة الأستاذ السيد محمد الحسني (رحمه الله) ، وتحيات إلى أعضاء المجلة وقرائها ، وإلى كل من شجع القائمين عليها والداعمين لها .

(والله يحب المحسنين) .

سعيد الأعظمي

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

تطورات عملية لبناء الإنسان !

كلما تزايد إقبال الناس على تطوير طرق التعليم والثقافة للأطفال والشباب ، وقامت دول عاشت في تخلف عن العلم ، وحرمان من الثقافة إلى مدة من الزمان ، فإنها بدأت تتطلع إلى توفير وسائل التعليم والتربية في شعوبها وفي جميع شعب الحياة ، وهي لا تكاد تعتمد على نفسها في هذا المجال بل تبحث عن منهج متبع في أي بلد يهتم بالتعليم والتربية ويحرص على تطوير إمكانيات العقل الإيجابي وتفجير طاقات الحياة واستغلال الفرص لبناء المجتمع والحضارة ، إنها ركزت على النواحي التعليمية بكافة أنواعها دون أن تقصر في إنشاء المدارس والكليات والجامعات بأقسامها المختلفة ، وإن كان ذلك يكلفها الاستدانة من الدول الغنية واستعارة المعلمين والمدرسين والأساتذة من بلد متطور وآخر ، ولكن بالرغم من كل ذلك تبلغ نسبة المتعلمين والمثقفين فيها إلى خمس أو أقل من ذلك بالمأة ، ولقد كانت بلاد الهند تعاني من تأخر كبير في هذا المجال فكانت نسبة التعليم فيها ضئيلة إلى حد ، ولما أحسّ بهذا النقص جماعة من المسئولين اتجهت إلى بناء الكليات والمدارس والجامعات ، وازداد اعتناؤها بهذا الجانب المهم ، وهكذا في كل بلد دخل فيه الاستعمار وظل تحت سلطته إلى مدة طويلة أو قصيرة .

أما الهند وإن كانت ذات أقلية مسلمة ولكنها أقلية تفوق أغلبيات كثير من بلدان العالم ، وهذه الأقلية المسلمة عاشت تحت شعار ديني لا تتم شخصيتها من غير الالتزام بواجب ذلك الشعار ، وهو نشر التعليم للتوصل إلى مفاهيم الدين العالية وخدمة الإنسانية بأصدق معانيها ، ومن ثم أقبل المسلمون من أول يومهم على إنشاء وبناء المدارس ومراكز التعليم والتربية ، فتخرج منها جيل محترم يحمل العلم والأدب والثقافة والدين ، مما أثر في تعليم وتثقيف الآخرين ، والقيام بخدمة الإنسانية من غير تمييز أو تفريق ، وبذلك مثل الشعب الهندي وحدة إنسانية عبر مناهجه الدينية والتقاليد والعادات ، وقدم نموذجاً عملياً لإجراء التجارب العلمية والثقافية

في جميع مجالات الحياة والمجتمع .

ومن خلال هذه التجارب كان الجمع بين علوم الدين والعقيدة وبين العلوم العصرية والتقنية ، فقد أقام العلماء المسلمون مدارس وجامعات دينية ، وعلماء الطبيعة وزعماء الثقافة العصرية والعلمية مراكز تعليمية ومدارس وكليات عصرية لكي يتحقق الجمع العادل المتزن بين الثقافتين، وذلك رغماً من العوائق السياسية وقلة الوسائل والمحاولات الاستعمارية لحرمان الشعب المسلم بوجه خاص من كل يقظة قومية وشعور سياسي ووعي ديني وخلقي ، لكيلا تتقاصر فترات الاستعمار الإنجليزي على هذه البلاد الحافلة بالمعادن والثروات الأرضية والمواد الزراعية المخصبة التي كانت مركز الأطماع الاستعمارية ومطمع المستعمرين الناهبين الذين بعثهم على الاحتلال والاستعباد ، الواقع الذي دفع كل إنسان في مهلك من الجهل والأمية ، وسهّل سلب لقمة العيش من أفواههم ، وهكذا دأب المستعمر في كل بلد أو دولة ، ولولا انتشار العلوم والثقافة على المستوى العالمي لكان العالم كله سجناً للشعوب الضعيفة والبعيدة عن مسارات التعليم ومراكز العلم والمعرفة .

ولذلك كان العلم مفتاح كل معضلة وكان مبدء كل سعادة بشرية جامعة ، وكان أول أساس للدين القيم الذي أنزله الله ديناً خالداً للإنسان وشريعة كاملة دائمة للإنسانية جمعاء ، وقد سجلت صفحات التاريخ معطيات هذا الدين في مجال التعليم والتربية بما لم يكن في الحسبان لدى زعماء الديانات السابقة من الأحبار والرهبان والقسيسين الذين لم يؤمنوا بما جاءتهم رسلهم بالبينات فحرموا قيادة العالم ، أكرم الله تعالى بها أمة الإسلام كما صرح بذلك الله سبحانه في كتابه فقال : (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)[1] ، فأنتج ذلك العلم الأساسي عقيدة الإيمان الراسخ والعمل الصالح التي منحت للإنسان المسلم شخصية ذات فاعلية كبيرة لم يسبق لها مثال في العالم البشري قط ، ألا وهي شخصية القيادة العالمية النابعة من الإيمان بالله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) ، وقد ظل زمام هذه القيادة بيد المسلمين الذين

[1] سورة يونس / ١٤ .

أيقظوا أوربا من سباتها العميق وأنقذوا أهلها من غفلة سادت عليهم إلى مدة طويلة ، ولولا أن الدين الحنيف كانت له سيادة في هذا المجال لما استطاع أن يخرّج جيلاً من أصحاب العلم والمعارف وأساتذة العلوم والفنون في أقل مدة ، ممن قاموا بجولات علمية ودعوية في الغرب ، وأنشأوا جوّاً من العلم والحكمة في هاتيك الديار النائية الغربية ، وبالتالي فتحوا المدارس والمعاهد ما بين صغير وكبير حتى أصبحت الأندلس أكبر مركز للتعليم والتربية والصناعة ، وعم الشعور بقدسية العلماء وفضيلة العلم والدين والثقافة والصناعة ، وبفضل ذلك استفادت أوربا بكاملها من هذه اليقظة وعياً متواصلاً في مجالات العلوم والصناعات ، وصلت من خلالها إلى قمة عالية من علوم الطبيعة والتطور الحضاري وقامت بالإبداعات والبحث عن المعارف الكونية والتقنيات الحديثة حتى اكتسبت مركز القيادة في جميع مجالات الحياة والعلم والحضارة ، وسيطرت بذلك على جميع البلدان المتخلفة حضارياً واجتماعياً ، وتم لها فيها ما يعبر عنه بالاستعمار ، الذي دام مدة طويلة ولم ينته إلا في أوقات مختلفة من خمسينيات القرن العشرين حينما قامت الشعوب المستعمرة في بلدانها بثورة ضد الاستعمار ، وضيقت الخناق على المستعمرين ، فلم يعدله طريق سوى إعلان الاستقلال .

ذهب الاستعمار وخلا الجو للشعوب والجماهير العامة لتنظيم شئون البلاد على أسس من التخيرات في جميع مجالات الحياة وخاصة في التعليم والاقتصاد وانتظم كل ذلك في ضوء الحاجات الشعبية وشعور خاص بإزالة آثار الاستعمار في جميع مرافق الحياة ، إلا أن تدخلات استعمارية لم تزل تعود حيناً لآخر إلى الدول المستقلة التي جعلتها مسرحاً للجرائم والاعتداءات وإثارة العواطف بين الطوائف واستفزاز المشاعر ضد الدول والبلدان لمجرد تمزيق الوحدة البشرية التي يصنعها الإسلام من أول ما دعا إلى عقيدة التوحيد ونادى بأن البشر كلهم من آدم ، وآدم خلق من تراب .

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ) .

ولكيلاَ يفارق الناسَ هذا الشعور ، أنزل الله تعالى شريعة كاملة وخالدة عن طريق خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم الذي ليس بعده نبي

ولا دين ، ولا شريعة ولا نظام ، وكل ذلك نتيجة كمال الدين وخلوده وثمرة لتمام النعمة بواسطة الإسلام ، ذلك الدين القيم الذي رضيه الله سبحانه للكون والحياة والإنسان ، وقد أعلن بذلك مدوياً مجلجلاً مع ذكر ما أصيب به الكفار من يأس بفشل جهودهم ضد الدين الإسلامي وحاولوا تخويف الناس بما إذا انحرفوا عن دينهم القديم ، وديانة الوثنية وعبادة الأصنام (ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ من دينكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلأِسْلاَمَ ديناً) .

تلك هي الآية الأخيرة التي لما نزلت فرح بها اليهود ، فقد جاء فيما رواه الإمام أحمد في مسنده عن طارق بن شهاب قال : جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال يا أمير المؤمنين : إنكم تقرأون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ، قال : وأي آية ؟ قال قول : (ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى) ، فقال عمر رضي الله عنه : والله إني لأعلم ذلك اليوم الذي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم : عشية عرفة في يوم جمعة (رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي)

أفهل هناك شهادة أوضح من هذه التي شهد بها اليهود بكون هذا الدين أكمل من جميع ما سبق من ديانات ونظرات وفلسفات ، وهو نعمة أتمها الله سبحانه وتعالى على بني آدم لآخر مرة ، فلا تفوقها نعمة ولا منة منّ بها الرب سبحانه ، لا على العالم البشري فحسب بل على جميع ما يعيش فيه الإنسان من الكائنات والحياة ، وهي ليست جامدة وموقوفة على طريقة واحدة ، ولكنها حية متحركة نشيطة تنفع المرء في كل ما هو بحاجة إليه لقضاء حياته على هذه الأرض في سعادة وهناء ، وتوفر له قلباً مطمئناً وصلة مخلصة بربه وبالعباد عن طريق الإيمان والطاعة والبر والإحسان والتورع عن الشبهات والعمل بالفرائض والواجبات ، على جميع مستويات الحياة الفردية والجماعية ، وقد جاء كل ذلك مشروحاً في كتاب الله تعالى ، مبيناً مذكوراً في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إننا لا نمانع العمل التطوري في مجال العلم والحكمة وفيما يعود نفعه إلى الناس في حل مشكلاتهم وتربية أبنائهم ، بل الواقع أن الإنسان

مفطورٍ على طبيعة التسابق في الخير ، فليس التطوير في العلوم والصناعات ممنوعاً عنه في أي حال ، والتاريخ الإسلامي حافل بهذا الواقع الإنساني في فتراته كلها ، ولا يزال المسلمون يتسابقون في تطوير جوانب العمل الإيجابي في بناء الإنسان بأحسن وجه وأفضل طريق (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) .

هناك أسلوب آخر للتربية الإسلامية من خلال المناوئين للإسلام ، ذاك أنهم يتزيأون بأزياء المسلمين وقد تراهم يتعممون مثل العمامة السوداء والبيضاء ، ويتظاهرون بأنهم مسلمون ويريدون أن يقوموا بتسليح الشباب من الأمة الإسلامية بسلاح التربية الدينية والتدريب العسكري كذلك ، حتى يتخرجوا من وراء هذه التربية الجامعة شباباً جامعين ، ويتمكنوا من مواجهة أساليب الغزو الفكري والعسكري الذي يقوم به الغرب ضد الإسلام ، ويدبروا للقضاء على تميزات الحياة الإسلامية باستهدافهم شباب الإسلام الناهضين وإدخال الشبهات في نفوسهم وزرع سموم الشك والريبة ضمن التربية الجامعة التي يتناولونهم بها ، ومن هنالك يتمهد الطريق نحو انسلاخهم عن العقيدة من غير شعور .

إذا تفقدنا هذا السرّ في جماعات الشباب المسلم التي توجد في الجامعات الغربية وما على شاكلتها أدركنا أن هناك مؤامرة دقيقة جداً لسلخ روح الإسلام وإبقاء صورته أو تغييرها كذلك في جميع المؤسسات والجامعات والدوائر السياسية والاقتصادية ، ولتنفيذ هذه المؤامرة لدى هؤلاء المتآمرين وسائل ضخمة وذخائر مكثفة من الأموال والطاقات الإنسانية ، وهم مكبون على تدمير أمة الإسلام والقضاء عليها ، ولا تزال نار الحقد والانتقام تتأجج في نفوسهم ، وهم مستمرون في تغيير روح الإسلام واستبدالها بروح اليهودية والصهيونية .

فلنكن على حذر دائم ولنعد طاقاتنا المادية والمعنوية كلها في صد هذا العدوان وإحباط هذه المؤامرات السرية ، ولنستخدم سلاح العلم والدعاء ، فإن الدعاء سلاح المؤمن ، ولا يرد القضاء إلا الدعاء .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي
١٤٣٨/٥/١٢ هـ
٢٠١٧/٢/١٠ م

التوجيه الإسلامي

القرآن الحميد والصحف السماوية القديمة في ميزان العلم والتاريخ

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن الندوي (رحمه الله)

أما " أوستا " صحيفة إيران القديم الدينية التي يعتقد الفرس (Persians) أنها صحيفة سماوية ، فإننا نقدم هنا عنها شهادة لعالم غربي كانت موضوع دراسته الخاص :

يقول رابرت ح . بفائفر (Robert H. Pfeiffer) رئيس قسم اللغات السامية بجامعة هارورد (Department of Semitic Languages) في دائرة المعارف للديانات (An Encyclopedia of Religions) :

" لقد كانت " أوستا " – حسب ما تقوله الروايات – مجموعة جميع العلوم ، وقد أتلف أكثر أجزائه الإسكندر المقدوني ، ثم ألف من الأجزاء الباقية كتاباً يشتمل على ٢١ جزءاً أو " نسك " (Nask) – كما يسمون – في القرن الثالث المسيحي ، ولكن لم يبق من هذه الأجزاء جزء كامل إلا الجزء الذي يسمى " ويندیداد " (Vendidad) وحمل منه شيئ يتعلق بالعبادات إلى الهند بعد القرن التاسع المسيحي ، وهو الذي يوجد بها في خمسة أجزاء ، تسمى " ياسنا " (Yasna) و " جاتا " (Gatha) و " ويسبرد " (Vespered) و " ويندید " (Vendid) " خوردا ويستا "(Khordaavasta) :

ولكن القرآن الحميد الذي هو كتاب الله الأخير ، ومصدق لكتب الله السابقة ، ومهيمن عليها وهو المسئول عن هداية البشر وربط المخلوقين بالخالق ودعوتهم إلى الله من زمن البعثة المحمدية – صلى الله على صاحبها وسلم – إلى يوم القيامة ، فإنه يختلف عن جميع الكتب السماوية كل الاختلاف ، فشأنه ليس كشأنها ، وقد وعد الله تعالى بنفسه بحفظه وصيانته من كل تحريف وتغيير ، ونقص وزيادة ، يقول الله تبارك وتعالى :

" وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لاَّ يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ

حَمِيدٍ " [1] .

وقد حفظ كذلك من المحو والتشويه ، وأن يستهدف للغو والباطل، أو أن ينسى من الذاكرة ، ويمحى من الصدور ، أو يتعرض للتلف والضياع في حادثة من الحوادث كما وقع مع التوراة مراراً ، كل ذلك مع القرآن ممنوع : " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " [2] .

إن هذا الوعد الجازم للحفظ يشمل حفظ القرآن في المصاحف والصدور، وبقاءه غضاً طرياً ، ونشره ، ورواجه ، وتلاوته وفهمه ، وأنه محفوظ من أن يهجر ، أو يعطل ، أو لا يعمل به ، أو لا يفهم أو يصبح في يوم من الأيام نسياً منسياً ، فكلمة " الحفظ " العربية البليغة تحمل آفاقاً واسعة، ومعاني عميقة تامة .

ولما قضى الله عز وجل بأن يبقى هذا الكتاب على أصالته وبجميع لوازمه – حسب ما أنزل على الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – وجه لتحقيق هذا الغرض الجليل النفوس البشرية ، والأسباب الطبيعية والخارجية والحوادث التاريخية ، فكلما كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يتلو آية كريمة ، وترن في أسماع المسلمين ، إذا بهم يتقبلونها تقبلاً ، ويضمونها إلى صدورهم ، وينقشونها في قلوبهم ، ويتهافتون على حفظها واستظهارها تهافت الفراش على النور .

وقد كان من أسباب هذا التنافس والمسارعة إلى حفظه حبهم للقرآن، وشغفهم به ، كما كان لإعجاز القرآن وبلاغته وحلاوة جرسه ، وجمال نبراته وتناسب ألفاظه ، زد إلى ذلك الآيات والأحاديث الواردة في فضل حملته وحفاظه [3] ، تأثير أيما تأثير ، ثم ارتباط المسلمين بالقرآن عن طريق صلواتهم وجميع عباداتهم ، وعن طريق تشريعهم وأحكام دينهم ، ومدنيتهم واجتماعهم، وعلومهم وآدابهم ، في كل هذه الجوانب كان القرآن الكريم ولا يزال مصدرهم الأول ، ومرجعهم الذي إليه يرجعون .

لقد أنشأ كل ذلك في المسلمين صلة روحية قلبية بالقرآن الكريم بلغت

---

[1] سورة حم السجدة : ٤١ – ٤٢ .

[2] سورة الحجر : ٩ .

[3] انظر في فضائل القرآن أبواب فضائله في كتب الحديث ، واقرأ رسالة " فضائل القرآن " للإمام عماد الدين الحافظ ابن كثير (م ٧٧٤هـ) في آخر تفسيره المشهور .

حد تعشقه والهيام به ، وكثر فيهم من بداية العهد الإسلامي حفاظ القرآن كثرة مدهشة ، حتى استشهد في حادثة بئر معونة عام ٣هـ سبعون من المسلمين الذين كانوا يدعون " القراء " أي الحفاظ العلماء [١] ، ولم يزل عدد الحفاظ بزيادة نسبة المسلمين والرغبة في حفظ القرآن في ازدياد ونمو بالغين حتى أصبح حفظ القرآن الكريم منتشراً في كل مدينة وكل قرية صغيرة وكبيرة ، وفي كل مجتمع مسلم إلى حد مدهش .

ولم يزل المسلمون ينقلون القرآن الكريم من صدر إلى صدور شفاها وكتابة ، وبلغوا في حفظه من الإتقان والمهارة وفي قراءته وتصحيح مخارجه ، وأحكام قواعده من الدقائق الفنية والكمال العلمي ، وفي التنافس فيه وكثرة تلاوته والتعبد به من الشوق والهيام ما يحير الألباب ، ولا يصدقه عامة غير المسلمين إن ذكر لهم ، نعم أولئك الناس من غير المسلمين الذين يعيشون في بيئة إسلامية ولهم صلات مع المسلمين ، فإنهم يمكن أن يقدروا ذلك بعض الشيئ ، وقد كان عدد هؤلاء الحفاظ في كل عصر أكثر من أن يحصى، وإنهم الآن ليتجاوزون مئات الألوف في شبه القارة الهندية فحسب .

لقد صرف الله عز وجل خلفاء الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – والمسئولين عن شئون المسلمين إلى هذا الأمر بطريقة إلهامية ، فلما استشهد حفاظ القرآن الكريم في معركة اليمامة [٢] بكثرة مقلقة ، خافوا أنه إذا استمر القتل بمثل هؤلاء فإنه يخشى على بقاء القرآن – لو كان معتمداً على الحفظ في الصدور – ويتعرض لخطر الضياع .

وقد هجس هذا الهاجس أولا في خاطر عمر الفاروق رضي الله عنه الذي كان دائماً أسبق إلى تقدير مصالح المسلمين وضروراتهم ، والذي كان صوت ضميره يوافق – أكثر الأحيان – نداء الحق ومقاصد الشرع المنير – فتقدم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه – باقتراح جمع القرآن الكريم، وكتابته في صحيفة واحدة ، وكان قبل ذلك مكتوباً مفرقاً في الأدم

---

[١] البداية والنهاية : ج/٤ ، ص/٧١ ، وحديث بئر معونة مشهور ، وقد أخرجه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأخرى .

[٢] كانت حرب اليمامة في أيام أبي بكر رضي الله عنه سنة ١٣ من الهجرة ، وقتل فيها مسيلمة الكذاب .

والعسب [1] ، واللخاف [2] ، ومحفوظاً في صدور الناس ، فشرح الله عز وجل صدر أبي بكر رضي الله عنه لذلك .

وولي كاتب الوحي الأمين زيد بن ثابت رضي الله عنه هذا العمل، فقام به زيد باهتمام بالغ وعناية منقطعة النظير ، وجمع القرآن من صدور الحفاظ وصحف كتاب الوحي ، ومن الأدم والعسف واللخاف المحفوظ في بيوت الناس ، وهكذا ظهرت هذه الصحيفة القرآنية المجموعة في مكان واحد التي يعول عليها الناس ، ويرجعون إليها .

ولما جاء عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه وانبث القراء والحفاظ بسبب كثرة الفتوح في مختلف الأقطار والأمصار ، وانهال الناس عليهم يتعلمون منهم ويقبلون على قراءاتهم ، وكانت هذه القراءات تحتمل سبعة أحرف أنزل الله بها القرآن للتيسير على الأمة العربية المترامية الأطراف في أول عهدها بهذا الكتاب ، وظهرت للناس عدة وجوه في هذه القراءات ، وسبب دخول الأعاجم بكثرة في الإسلام اختلافاً في اللهجة والأداء ، وعدم فهم لحكمة التيسير في وجوه القراءات المتعددة ، وخاف الصحابة رضي الله عنهم أن يؤدي هذا الاختلاف الذي سيشتد ويحتدم – وقد احتدم في بعض الأماكن فعلاً – أمر عثمان رضي الله عنه – باستشارة من الصحابة رضي الله عنهم واتفاق عنهم – بأن يقرأ هذا القرآن على لغة قريش التي نزل عليها أصلاً ، وأمر بإعادة الكتابة مراعاة للغة قريش في وجوه القراءات ، وبعث بهذه النسخ إلى كل مدينة إسلامية، واستبقى نسخة منها في المدينة المنورة تسمى " المصحف الإمام " .

وهذه هي النسخة التي أجمعت عليها الأمة ، وقبلتها ، وتداولتها عبر القرون والأجيال ، وعمرت بها القلوب ورطبت بها الألسن ، فحفظوا القرآن الكريم ، وتعبدوا الله تعالى ، ولا يزال الاعتماد إلى يومنا هذا من أقصى العالم إلى أقصاه على هذا المصحف العثماني الإمام ، ولم يختلف فيه من ٢٥هـ الذي كان فيه هذا الاتفاق على هذا المصحف المختار أي اثنين في أي مجتمع إسلامي ، ولم يعثر على كشف جديد لنسخة أخرى في أي مكتبة من

---

[1] العسب جمع عسيب ، وهو جريد النخل الذي ليس عليه ورق .
[2] اللخاف جمع لخفة ، وهي صحائف من خطية الحجر الأبيض .

مكتبات العالم ولا في أي متحف من متاحف الآثار القديمة [1] .

لم يزل المسلمون بعد الانتهاء من عملية جمع القرآن وتدوينه في المصحف مجمعين إلى يومنا هذا على الأخذ به ، ولقد حفظ القرآن الكريم بعد كل ذلك ولا سيما الآن من أن تمتد إليه يد التحريف ، أو يغير فيه حسب الأهواء والرغبات لكثرة حفاظه وحملته ، وسعة انتشاره وكثرة طباعته ، وقد جاء في دائرة المعارف البريطانية الاعتراف التالي :

" إن القرآن هو أكثر الكتب على وجه الأرض تلاوة وقراءة " [2] .

ويوافق المستشرقون والباحثون الغربيون – الذين لا يرون القرآن كتاباً إلهياً ، نزل بطريق الوحي على محمد – صلى الله عليه وسلم – على الرأي السابق ، ونسوق – فيما يلي – بعض أقوال الباحثين المسيحيين في هذا الصدد :

يقول سروليم ميور – الذي يعرف بالتحامل على الإسلام ورسول الإسلام محمد – صلى الله عليه وسلم – والذي اضطر كتابه : " Life of Mohammad " سيد أحمد خان مؤسس جامعة عليكراه الإسلامية – الذي كان حامل لواء التعليم الحديث للمسلمين – إلى أن يرد عليه بكتابه : " الخطبات الأحمدية " – يقول هذا الباحث :

" لقد نشأت بعد مضي ربع قرن من الزمن على وفاة محمد – صلى الله عليه وسلم – مناقشات حادة وتحزبات شديدة أدت إلى مقتل عثمان رضي الله عنه ولا تزال هذه الخلافات موجودة الآن ، إلا أن القرآن المشترك بينهم هو قرآن واحد ، وإن تلاوة هذه الفرق والطوائف – التي ظهرت بسبب التحزبات – لهذا القرآن الواحد بصفة متواترة مستمرة في كل عصر حجة قاطعة على أن الصحيفة التي بأيدينا هي نفس تلك الصحيفة التي أعدت بأمر الخليفة السيئ الحظ [3] ، ولعله لا

---

[1] يقول المستراوي منغانا (أستاذ جامعة مانشستر سابقاً) : توجد في المكتبات الأوربية نسخ خطية كثيرة للقرآن الكريم ، وأقدمها نسخة من القرن الثاني الهجري ، ولكنها كلها لا تحمل أي اختلاف لفظي ، اللهم إلا اختلافاً في اللفظ ، وهو بسبب الخلل في الخط العربي القديم ، وأبدى مثل هذا الرأي الأستاذ نولدك (Noeldeke) في دائرة معارف الديانات والأخلاق : ج/١ ، ص/٥٤٨ – ٥٤٩ .

[2] انظر دائرة المعارف البريطانية ، تحت عنوان " محمد صلى الله عليه وسلم " .

[3] يريد به سيدنا عثمان رضي الله عنه وقتله ، ولكنه لا يعرف أن عثمان لم يكن سيئ الحظ كان سعيداً بالشهادة ، إنما كان سيؤا الحظ أولئك الثائرون والمنتهكون لحرمته الذين لم يراعوا إلاً ولا ذمة .

يوجد في العالم كله كتاب مثله بقي مدى القرون الإثني عشر على أصالته بدون تحريف وتغيير ، وإن الخلافات في قراءات القرآن هي أيضاً قليلة جداً إلى حد مدهش ، وهي كذلك بسبب الإعراب والشكل الذي كان بعد زمن طويل " [١] .

ويقول وهيري (Wherry) في تفسيره للقرآن :

" إن القرآن هو من بين جميع الصحف القديمة أكثرها أصالة وعدم اختلاط بغيره (Purest) " [٢] .

" إن الصحيفة التي رتبها عثمان رضي الله عنه لم تزل من عهده إلى يومنا هذا متفقاً عليها ومعترفاً بها " [٣] .

ويقول لين بول (Lane Poole) :

" إن أكبر محاسن القرآن أصالته غير مشكوك فيها ، كل حرف نقرأه منه اليوم يمكننا أن نثق بأنه هكذا من قرابة ثلاثة عشر قرناً من الزمن غير مغير ولا محرف " [٤] .

لهذه الحقيقة القاطعة لم تكن للإسلام من حاجة إلى نبوءة جديدة تقضي على الشكوك والشبه ، وتميز الحق من الباطل ، وتفضح كذب الكاذبين ، ولم يكن ثمة من داع إلى كتاب آخر يحل محل الكتب المنسوخة التي كانت عرضة للتحريفات والإلحاقات والتعديلات [٥] .

" وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لاَّ يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ " [٦].

---

[١] " حياة محمد " (Life of Mohammad) لسر وليم ميور (Sir William Muir) .

[٢] (Commentary of The Quran, Vol. ١, P. ٣٤٩.) تفسير القرآن ج/١ ، ص/٣٤٩

[٣] (The Quran Introduction, P. ٧٩.) تعريف بالقرآن لوهيري ص/٧٩ .

[٤] هذه المقتطفات والشواهد كلها مقتبسة من " تفسير القرآن " الإنجليزي ، للعلامة عبد الماجد الدريابادي .

[٥] مقتبس من " النبوءة والأنبياء " للمؤلف : ص/٢٢٧ – ٢٣٤ .

[٦] سورة حم السجدة : ٤١ – ٤٢ .

جوانب بلاغية في سورة آل عمران

بقلم : معالي الشيخ الدكتور راشد عبد الله الفرحان*

سميت بذلك لورود آل عمران ، وهم من ذرية نبي الله إبراهيم ونبي الله موسى عليهما السلام ، إن الله تعالى لما ختم سورة البقرة بذكر التوحيد والإيمان افتتح هذه السورة بالتوحيد والإيمان فقال :

أَنْزَلَ – ونَزَّلَ :

١ (الٓمٓ) .

٢ (ٱللَّهُ لآ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ ٱلْحَى ٱلْقَيُّومُ) .

٣ (نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلإِنْجيلَ) .

٤ (مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنْتِقَامٍ) .

وإنما قال جلّ شأنه في القرآن (نَـزَّلَ) بالتشديد ، وقال في التوراة والإنجيل (أَنْزَلَ) بالتخفيف لأن كل واحد منهما أنزل مرة واحدة ، ونزل القرآن في مرات عدة منجماً حسب الوقائع والمناسبات والإجابة عن السؤال . وقد يكون في بعض الآيات شدة ومبالغة وإفادة التكثير كما في وصى و وصّى ، وأما الآيات التي جاءت بالتخفيف كما في أول البقرة والكهف والعنكبوت ومحمد وغيرها بالتخفيف وكل ما جاء على وزن أفعل فلم تتضمن من التهديد وشدة الوعيد كما في سورة الأنعام .

وكذلك قد جاءت آية تتحدث عن التوراة بالتضعيف والتشديد في الآية ٩٣ من سورة آل عمران ، جاء في كتاب : الأسباب الإعجازية (أن المراد ثبوت أحكامها وتقعيدها ، وذلك أن بني إسرائيل لما حرّم الله عليهم طيبات أحلت لهم وأنكروا أنهم لم يخصوا بها ، وأنه كان محرماً على نوح وإبراهيم وكل من تقدم من بني إسرائيل فأكذبهم الله تعالى في ذلك ، وقال : (كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل) ، أقول لما كانت القاعدة

* وزير الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت سابقاً .

في ذلك أفعل وفعّل هي المبالغة والاهتمام والتكثير والتشديد ، والمقام مقام محاورة ومجادلة جاء بالفعل مشدداً ، شدّد على وزن فعّل ، فناسب ذلك التضعيف فقال (نَزَّلَ) (من قبل) فلما قطعه عن الإضافة بناه على الضم ، وموضع هدى نصب على الحال من التوراة والإنجيل أي هاديين .

تكرر الفرقان :

يعني به القرآن ، وإنما كرر ذلك لما اختلفت دلالاته ، لأن كل صفة فيها دلالة وفائدة ، وأشار سبحانه في الآية (٥ و٦ و٧) بأنه لما كان لا يخفى عليه شيئ قيوماً بمصالح الخلق ومنها الجسمانية والروحانية ، وحكى عن الراسخين في العلم في النوعين وكيف كانوا يدعون ربهم ، ذكر عاقبة الغرور .

١١(كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) .

الدأب هو العادة ، والكاف متعلق بمحذوف تقديره : عادتهم كعادة آل فرعون ، ويجوز أن يكون الكاف في موضع رفع بأنها خبر مبتدأ ، والمهاد هو الفراش ، والمقصود به العاقبة والتعبير بالمهاد مناسب لأن الموتى تمددوا في الأرض ، والتصقوا بها من الذل .

١٤ (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ مِنَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنْطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلأَنْعَامِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ ٱلْمَآبِ) .

المراد من التزيين هنا الحض على تعاطي الشهوات والأمر بها ، فهذا الاعتبار يكون ما يحسن من الله وما يقبح من الشيطان ، تنزيلاً لوسوسته وتحسينه منزلة الأمر بها (حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ) جعل الأعيان التي ذكرها شهوات ، مبالغة في كونها مشتهاة محروصاً على الاستمطاع بها ، ثم جاء بالتفسير ليقرر أولاً في النفوس أن المزين لهم حبه ما هو إلا شهوات لا غير ، ثم يفسره بهذه الأحباس فيكون أقوى لتخسيسها وأدلّ على ذم من يستلطفها ، ويتهالك عليها .

الصابرين :

١٦ (ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ آمَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ) .

١٧ (ٱلصَّابِرِينَ وَٱلصَّادِقِينَ وَٱلْقَانِتِينَ وَٱلْمُنْفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلأَسْحَارِ) .

(ٱلَّذِينَ) اسم موصول مبني في محل رفع لمبتدأ محذوف تقديره : هم، وقال الزمخشري : نصب على المدح ، ويجوز الجر صفة للمتقين أو العباد ، والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها.

٢٠ (فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّه وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ، وَقُلْ لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ وَٱلأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلاَغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَاد) .

(قَآئِمَاً بِٱلْقِسْطِ) انتصاب على أنه حال مؤكدة عنه ، والحال المؤكدة لا تستدعي أن تكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها .

اتبعن :

عطف على التاء في أسلمت ، ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولاً معه ، (اتبعن) تحذف ياء المتكلم من بعض الكلمات في القرآن الكريم ، وقرأ نافع وأبو عمر بإثبات الياء وصلاً وحذفها وقفاً وما ذكرت فيه الياء أوسع مما لم تذكر فيه الياء مثل هذه الآية .

٢١ (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللَّه وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) .

فبشرهم – الاستعارة التبعية :

فاستعمال البشارة هنا مجازي قصد به التهكم ، فالمعنى أنذرهم بعذاب أليم لأن العذاب لا يبشر به .

٢٤ (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِمْ مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ) .

معدودات – معدودة :

(مَّعْدُودَات) جمع معدود اسم مفعول من فعل عدّ، وفي البقرة (وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّه عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُ) [1]

والجواب على ذلك أن (مَّعْدُودَات) جمع سالم وهو جمع قلة يفيد القلة ، أما (مَّعْدُودَةً) فهي جمع تكسير وهو جمع كثرة يفيد الكثرة ،

[1] الآية ٨٠ .

وهي أكثر من معدودات ، ومثله أشجار مثمرة وجبال شاهقات ، وآية البقرة قد سبقتها آيات فيها وعيد لتحريفهم الكلم بعد ما عقلوه ، وذلك من أكبر الكبائر ناسب ذكر المعدودة لتدل على التكثير والتهويل ، لأن معاصيهم كبرت وزادت .

أما في سورة آل عمران لم يكن هناك تذكير بالأفعال والتوعد بالحساب ، بل هو الإعراض عن دعوة الرسول ، وهذا أقل جرماً من التحريف في كتاب الله ، لذلك ناسب (مَّعْدُودَات) لأن الآثام التي ذكروا بها أقل ، وقيل إن بعضهم قال : معدودة والبعض الآخر قال : معدودات والله أعلم على ما جاء في كتاب الأسباب الإعجازية [1] .

ثلاثة أيام – وثلاث ليال :

٤١ (قَالَ رَبِّ ٱجْعَلْ لِّيٓ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَٱذْكُرْ رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلإِبْكَارِ) .

(ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً) الرمز يكون بالعينين والشفتين والحاجبين أو باليد ، وإنما اعتقل لسانه عن الكلام آية من الله على وجود الحمل ، وفي سورة مريم قال (ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيّاً) .

والمراد ثلاثة أيام بلياليها متصلة ، حتى لا يتوهم بأن المقصود النهار دون الليل أو الليل دون النهار ، وقال في آية آل عمران : ثلاثة أيام ليناسب الرمز والإشارة التي لا تفهم إلا بالنهار .

وسبّح بالعشي والإبكار – سبّحوا بكرة وعشياً :

في سورة مريم لما خاطب قومه قال لهم (فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيّاً) [2] ، وفي سورة آل عمران نلاحظ هنا زيادة (وَٱذْكُرْ رَّبَّكَ وَسَبِّحْ) ، وذلك أنه لما كان الأمر من الله إلى زكريا عليه السلام بالذكر والتسبيح سبق هذه الآية قول الله تعالى (أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ ٱلصَّالِحِينَ) ، فيها بشارة أكبر وأعظم مما في سورة مريم ، وذلك يقتضي زيادة الشكر وعظمه .

---

[1] ص ٦٦ ، ج ١ .
[2] الآية ١١ .

بكرة وعشياً – بالعشي والإبكار :

جاءت (بُكْرَةً وَعَشِيّاً) نكرة في سورة مريم ومعرفة بآل عمران ، لتدل على عظم الشكر والذكر والتسبيح ، فناسب التعريف زيادة الذكر في الآية .

مريم وفضل الله عليها :

٤٢ (وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلاَئِكَةُ يٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَالَمِينَ) .

اصطفاك – واصطفاك :

الاصطفاء الأول قبولها محررة لأمر كان خاصاً بالرجال بإرسال الملائكة إليك تكلمك ، والاصطفاء الثاني تفضيلها على نساء العالمين لزمانها وبولادة عيسى عليه السلام ، وأنه لكبير نعمة واصطفاء عظيم .

ولد – غلام :

٤٧ (قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) .

وجاء في سورة مريم (أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلاَمٌ) ، كلمة الولد هو المولود ذكراً كان أم أنثى ، وذكر في سورة مريم غلام ليناسب بشرى يحيى (إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ ٱسْمُهُ يَحْيَىٰ) ، والولد أهم من الغلام قد يكون رجلاً ، ولأهمية عيسى على يحيى .

٤٩ (وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَائِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلأَكْمَهَ وَٱلأَبْرَصَ وَأُحْيِى ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذٰلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) .

رسولاً :

(رَسُولاً) نصب بفعل سابق أو بفعل مقدر تقديره : وأرسله رسولاً .

٥٠ (وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ) .

وأطيعون :

(مُصَدِّقاً) عطف على محل آية وهو النصب لأنه حال أي جئتكم بآية من ربكم ومصدقاً ، (وَأَطِيعُــونِ) الأصل : وأطيعوني ، وقد حذفت ياء المتكلم بعد نون الوقاية مراعاة للفواصل بين الآيات .

قصة عيسى مع قومه :

٥٢ (فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ ٱللَّهِ آمَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) .

بأنا – بأننا :

(بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) وجاء في سورة المائدة : (بِأَنَّنَا مُــسْلِمُونَ) الآية ١١١ ، وذلك أن آية المائدة ورد فيها تفصيل فيما يجب الإيمان به ، لذلك ناسب قوله تعالى (بِأَنَّنَا) ، أما في آية آل عمران التي معنا ، فهو إيجاز ناسب (بِأَنَّا) .

٥٥ (إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَــرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) .

(إِنِّى مُتَوَفِّيكَ) يرى كثير من العلماء أن الله توفى عيسى ، ويرى آخرون بأنه حي لم يمت ، (وَرَافِعُكَ) يرى الذين يقولون بالوفاة أن الرفع للروح فقط كسائر الأنبياء (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ) ، (جَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَــةِ) ، ذهب بعض المفسرين أن الفوقية هي السيادة للذين آمنوا قد تحققت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين لكونهم يؤمنون بعيسى ، ويرى العلماء المحققون أن الفوقية إنه سوف يجعل كل من يتبع عيسى بعد مبعثه مرة أخرى قبل يوم القيامة فوق الذين كفروا .

٥٩ (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُۥ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَــالَ لَــهُۥ كُــن فَيَكُونُ) .

٦٠ (ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ) .

أنت وقومك يا محمد .

فلا تكن – فلا تكونن :

وفي سورة البقرة (ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ) الآية : ١٤٧ ، في هذه الآية (٥٩) آل عمران جاء على الأصل ولم يكن فيها ما يوجب إدخال نون التوكيد ، بخلاف سورة البقرة ، فإن فيها أول القصة (فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا) فناسب : ولا تكونن .

آية المباهلة :

٦١ (فَمَنْ حَآجَّكَ فيه منْ بَعْد مَا جَآءَكَ منَ ٱلْعلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَّعْنَةَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ) .

(نَبْتَهِلْ) نتضرع في الدعاء ، والابتهال هو التداعي باللعن يقال عليه بهلة اللّه ، وبهلته أي لعنته ، أي أبعده من رحمته ، وضم الأبناء والنساء آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه .

٩٣ (كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِيۤ إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَاةِ فَٱتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) .

إسرائيل هو يعقوب عليه السلام (مِنْ قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَاةُ) هذه هي الآية الوحيدة في القرآن التي جاءت بالتضعيف للتوراة ، للمبالغة والاهتمام كما بيناه في أول السورة .

٩٦ (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) .

بكة – مكة

قال الله تعالى في سورة الفتح (مَكَّةَ) وهنا بكة جاء بالباء لأن الآية في سياق الحج ، وبكة من البك الذي هو الزحام لأن الحج يبك الناس بعضهم بعضاً .

الدعوة الإسلامية

من جوانب التربية المحمدية لهذه الأمة المجيدة

الشيخ الطاهر بدوي الجزائري

إن نظام المؤاخاة لم يكن جاهلياً ، إنما هو نظام استحدثه الإسلام بعد الهجرة لمواجهة حالة المهاجرين الذين تركوا أموالهم وأهليهم في مكة ، ومواجهة الحالة كذلك بين المسلمين في المدينة ممن انفصلت علاقاتهم بأسرهم نتيجةً لإسلامهم ، وذلك مع تقرير الولاية العامة للنبي صلى الله عليه و سلم ، وتقديمها على جميع ولايات النسب وتقرير الأمومة الروحية بين أزواجه عليه الصلاة والسلام وجميع المؤمنين . قال تعالى : " ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو ٱلأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُمْ مَّعْرُوفاً كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُوراً " . (الأحزاب/٦)

لقد هاجر المهاجرون من مكة إلى المدينة تاركين وراءهم كل شيء فارين إلى الله بدينهم ، مؤثرين عقيدتهم على وشائج القربى وذخائر المال وأسباب الحياة . كذلك وقع في المدينة شيء من هذا في صورة أخرى . فقد دخل في الإسلام أفراد من بيوت ، وظل آخرون فيها على الشرك فأنبتت العلاقة بينهم وبين قرابتهم . ووقع على أي حال تخلخل في الروابط العائلية وتخلخل أوسع منه في الارتباطات الاجتماعية . وكان المجتمع الإسلامي لا يزال وليداً والدولة الإسلامية الناشئة أقرب إلى أن تكون فكرةً مسيطرةً على النفس ، من أن تكون نظاماً مستنداً إلى أوضاع مقررة . هنا ارتفعت موجة من المد الشعوري للعقيدة الجديدة ، تسيطر على كل العواطف والمشاعر وكل الأوضاع والتقاليد وكل الصلات والروابط لتجعل العقيدة وحدها هي الوشيجة التي تربط القلوب ، وتربط في الوقت ذاته الوحدات التي انفصلت عن أصولها الطبيعية في الأسرة والقبيلة ،

فتقوم بينها مقام الدم والنسب ، والمصلحة والصداقة والجنس واللغة وتمزج بين هذه الوحدات الداخلة في الإسلام فتجعل منها كتلة حقيقية متماسكة متجانسة متعاونة ومتكافلة ، لا بنصوص التشريع ولا بأوامر الدولة ، ولكن بدافع داخلي ومد شعوري ، يتجاوز كل ما ألفه البشر في حياتهم العادية . وقامت الجماعة الإسلامية على هذا الأساس حيث لم يكن مستطاعاً أن تقوم على تنظيم الدولة وقوة الأوضاع . وقرر القرآن الكريم في الوقت ذاته الولاية العامة للنبي صلى الله عليه وسلم الذي كان ميلاده نورا أضاء كل الآفاق وكانت بعثته رحمة للعالمين . فولاية الرسول صلى الله عليه وسلم تتقدم حتمياً على قرابة الدم بل على قرابة النفس لأنها تشمل رسم منهاج الحياة بحذافيرها ، وأمر المؤمنين فيها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليس لهم أن يختاروا إلا ما اختاره لهم بوحي من ربه : " لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به " . كما قال عليه الصلاة والسلام . وتشمل مشاعرهم فيكون شخصه صلى الله عليه وسلم أحب إليهم من أنفسهم ، فلا يرغبون بأنفسهم عنه ولا يكون في قلوبهم شخص أو شيء مقدم على ذاته .

جاء في الصحيح : " والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين " . وفي الصحيح أيضا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : " يا رسول الله ! والله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي " فقال صلى الله عليه وسلم : " لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك " فقال : " يا رسول الله والله لأنت أحب إلي من كل شيء حتى من نفسي " . فقال صلى الله عليه وسلم : " الآن يا عمر ".

وليست هذه كلمة تقال ، ولكنها مرتقى عال لا يصل إليه القلب إلا بلمسة لدنية مباشرة تفتحه على هذا الأفق السامي الوضيئ الذي يخلص فيه من جاذبية الذات وحبها المتوشج بالحنايا والشعاب .

وتشمل الولاية العامة كذلك التزاماتهم . لقد جاء في الصحيح ما نصه : " ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة ، اقرؤوا إن شئتم : " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم " . فأيما مؤمن ترك مالا فليرثه

عصبته من كانوا ، وإن ترك دَيْناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه " . والمعنى أنه يؤدي عنه دينه إن مات وليس له مال يفي بدينه ويعول عياله من بعده إن كانوا صغاراً ، وفيما عدا هذا فإن الحياة تقوم على أصولها الطبيعية التي لا تحتاج إلى مد شعوري عال ولا إلى فورة شعورية استثنائية مع الإبقاء على صلات المودة بين الأولياء بعد إلغاء نظام الإخاء . فلا يمتنع أن يوصي الولي لوليه بعد مماته أو أن يهبه في حياته . " إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا " .

لقد جاء الرسول صلى الله عليه وسلم من أنفُس العرب ومن أنفَسهم وأشرفهم ، قال تعالى : " لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ . فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لآ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ . (أواخر سورة التوبة) ، فهذا الرسول الكريم بضعة من أنفسكم يشق عليه عنتكم ومشقتكم لا يلقى بكم في المهالك ولا يدفع بكم إلى المهاوى ، فإذا كلفكم الجهاد وركوب الصعاب فما ذلك من هوان بكم عليه ولا بقسوة في قلبه وغلظة ، إنما هي الرحمة في صورة من صورها ، الرحمة بكم من الذل والهوان ، والرحمة بكم من الذنب والخطيئة ، والحرص عليكم أن يكون لكم شرف حمل الدعوة وحظ رضوان الله والجنة التي وُعدها المتقون .

فوظيفة النبي صلى الله عليه وسلم في أمته أن يكون " شاهداً " عليهم ، فليعملوا بما يحسن هذه الشهادة التي لا تكذب ولا تزور ولا تبدل ولا تغير وأن يكون " مبشراً " لهم بما ينتظر العاملين من رحمة وغفران ومن فضل وتكريم ، وأن يكون " نذيراً " للغافلين بما ينتظر المسيئين من عذاب ونكال . فلا يؤخذوا على غرة ولا يعذبوا إلا بعد إنذار ، و " داعياً إلى الله " لا إلى دنيا ولا إلى مجد ولا إلى عزة قومية ولا إلى عصبية جاهلية ولا إلى مغنم ولا إلى سلطان أو جاه ولكن داعياً إلى الله ، في طريق واحد يصل إلى الله " بإذنه " فما هو بمبتدع ولا بمتطوع ولا بقائل من عنده شيئاً ، إنما هو إذن الله له وأمره لا يتعداه " وسراجاً منيراً " ، يجلو

الظلمات ويكشف الشبهات وينير الطريق نوراً هادئاً كالسراج المنير في الظلمات .

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من النور جاء بالتصور الواضح البيّن النير لهذا الوجود ولعلاقة الوجود بالخالق ولمكان الكائن الإنساني من هذا الوجود وخالقه ، وللقيم التي يقوم عليها الوجود كله ، ويقوم عليها وجود هذا الإنسان فيه ، وللمنشأ والمصير والهدف والغاية والطريق والوسيلة في قول فصل ، لا شبهة فيه ولا غموض . وفي أسلوب يخاطب الفطرة خطاباً مباشراً وينفذ إليها من أقرب السبل وأوسع الأبواب وأعمق المسالك والدروب .

لقد حدد الرسول صلى الله عليه وسلم مهمته بقوله : " إنما بعثت معلما " .[1] والقرآن الكريم ذكر هذه المهمة الأساسية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بصراحة فقال : " هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلاَلٍ مُّبِينٍ " . (الجمعة/٢) . فقد أحصت هذه الآية من مهمات الرسول صلى الله عليه وسلم التعليم والتربية ، تعليم الكتاب والحكمة وتربية الأنفس عليهما . وكان الجانب الأعظم من حياة الرسول عليه الصلاة والسلام مستغرقاً بهذا الجانب . إذ أنه هو الجانب الذي ينبع عنه كل خير ولا يستقيم أي جانب من جوانب الحياة سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً أو عسكرياً أو أخلاقياً إلا به .

ولا يؤتى الإنسان ولا تؤتى أمة ولا تؤتى الإنسانية إلا من التفريط في العلم الصحيح والانحراف عنه إما إلى الجهل أو إلى ما يضر علمه ولا ينفع .

فالأمة بلا علم يوضح لها جوانب سلوكها ، وبلا تربية تعرف كل فرد من أفرادها واجبه ، تصبح أمة فوضوية ، تصرفاتها غير متوقعة وغير منضبطة ، ولكل فرد من أفرادها سلوك يخالف سلوك الآخر وعادات وتصورات تختلف فلا تكاد أمة تفلح بهذا ولا فرد .

---

[1] أخرجه الإمام أحمد .

إن كمال المربي يظهر في مقدار ما يستطيع أن ينقل نفس الإنسان وعقله من حالة دنيا إلى حالة أعلى ، وكلما ترقى بالإنسان أكثر ، دل ذلك على كماله أكثر . ويظهر أيضا في سعة دائرة البشر الذين استطاع أن ينقلهم إلى كمالهم الإنساني ، فكلما كانت الدائرة أوسع كان أدل على الكمال ، ويظهر كذلك هذا الكمال في صلاحية هذه التعاليم والتربية وحاجة الناس جميعا إليها ، واستمرار إيتاء هذه التعاليم آثارها على مدى العصور بحيث لا يستغنى البشر عنها . فهذا شأن التربية المحمدية لأمته المجيدة التي لا يعتريها نقص ولا تناقض ولا فتور لأنها تربية ربانية تتلاءم مع الحاجيات والأزمان وتتكيف مع النفوس والعقول ، تربية لا شرقية ولا غربية ، تربية نورانية نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء .

ولم تكن دائرة تربية الرسول صلى الله عليه وسلم محدودة بل شملت كل الجزيرة العربية بترتيب وسائل هذه التربية . فكان لا يكتفي من القبيلة بإسلامها حتى يأتيه وفدها وكان يبقي وفدها عنده في المدينة أياما ليفقه الدين الحنيف من خلال توجيهاته عليه الصلاة والسلام وسلوك صحابته الكرام ، حتى إذا ما أذن لهم بالرحيل أمَّر عليهم رجلا منهم وأمرهم أن يقوموا بعملية التربية والتعليم نيابة عنه . وكان زيادة على ذلك يرسل أصحابه أحادا أو جماعات ممن فقهوا وربوا تربية عالية إلى كل مكان ليقوموا بدور المربي . فكان من آثار ذلك أنه خلال بضع سنوات أصبحت الجزيرة العربية واعية لدين الله مرباة مهذبة إلى حد كبير بعد أن كانت في أدنى دركات الانحطاط .

وكان القرآن حفظاً وفهماً وتطبيقاً وسلوكاً هو أداة هذه التربية العظيمة ، لأنه على قدر ما يستوعبه أفراد الأمة على قدر ما ترتفع أنفسها ويسمو تفكيرها وتتفتح آفاق الحياة أمامها ولذلك جعله الرسول صلى الله عليه وسلم مقياسا للخيرة فقال في حديث أخرجه البخاري " خيركم من تعلم القرآن و علمه " . وكان يختار للأمرة أكثر الناس أخذاً للقرآن حفظاً وفهماً وتطبيقاً وربّى أصحابه الكرام على ذلك كعمر بن الخطاب

رضي الله عنه الذي أصبح بهذه التربية النبوية ، رجل الدولة العظيم ورمز العدل الذي لا يكون إلاّ معه مع الحزم والرحمة وسعة الأفق وصدق الإدراك وحسن الفراسة ، وكعبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي أخرجته هذه التعاليم الرشيدة من كونه راعي الإبل إلى رجل بصير وحكيم ومؤسس لأكبر مدرسة في الفقه الإسلامي والتي ينتسب إليها الإمام أبو حنيفة النعمان . يصبح الرجل الذي يقول فيه عمر لأهل الكوفة : " لقد آثرتكم بعبد الله على نفسي " .

وما مضت على الأمة الإسلامية إلا فترة بسيطة من الزمن حتى أصبحت لا يغلبها غالب فكراً أو حرباً أو حضارة ، أصبحت أمة ، الحق عندها يحكم بالقوة ، والزهد عندها ترافقه الشجاعة ، والعبادة عندها ترافقها الحكمة ، أمة ما رأت الدنيا مثلها ، محبوبة عند الله وعند الناس فالكل يشهد لها لا عليها ويقف في صفها إلا جحود أو كنود ، وانظر إلى الأستاذ هيل كيف يقول عن هذه التربية النبوية الفذة : " إن جميع الدعوات الدينية قد تركت آثارا في تاريخ البشر . وكل رجال الدعوة والأنبياء قد أثروا تأثيراً عميقاً في حضارة عصرهم وأقوامهم ولكن لا نعرف في تاريخ البشر أن ديناً انتشر بهذه السرعة وغير العالم بأثره المباشر كما فعل الإسلام ولا نعرف في التاريخ دعوة كان صاحبها سيداً ومالكاً لزمانه ولقومه كما كان محمد (صلى الله عليه وسلم) . لقد أخرج أمة إلى الوجود ومكّن لعبادة الله في الأرض ، وفتحها لرسالة الطهر والفضيلة ، ووضع أسس العدالة والمساواة الاجتماعية بين المؤمنين ، وأصّل النظام والتناسق والطاعة والعزة في أقوام لا تعرف غير الفوضى " .

وهل نحن من أبنائها ؟ فإذا قلنا نعم فمن يجيب على : قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ؟؟

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم .

الماءُ نعمةً ونقمةً

الأستاذ عبد المجيد المدني *

الحمد لله الذي أوحى إلى موسى عليه السلام حينما استسقى لقومه أن يضرب بعصاه الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا مشاربَ لكل أناس من اثنتي عشرة أمما ، والذي فَوَّرَ تنّورَ قومٍ غلبوا نوحا عليه السلام وأهلكهم ألا يضلوا العباد المخلصين ، وألا يلدوا فاجراً كفاراً ، والصلاة والسلام على نبيه الذي صرّف بإصبعه المزن إلى الآكَامِ ، وَالظِّرَابِ ، وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ وهو قائم على المنبر داعيا ، بل نبع من بين أصابعه الماءُ عندما قلّ الماء يوم الحديبية ، وبالزوراء في المدينة ، فشرب منه وتوضأ أكثر من ألف وخمس مائة من آله وصحبه رضي الله عنهم وعمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

تقديم :

فالقرآن الكريم هو أول كتاب يتحدث عن أنواع المياه بدقة فائقة ، ويعطي تصنيفاً علمياً لها ، ويصنفها بما يتناسب مع درجة تفاوتها [1] ، فمحور هذا المقال النصوص القرآنية التي تتناول أنواع المياه ، وما رُوي عن عَبْدُ اللَّهِ ابْن مَسْعُودٍ رضِي اللّه عَنْه أنّه قَالَ : " مَا عَامٌ بِأَكْثَرَ مَطَرًا مِنْ عَامٍ ، وَلَكِنّ اللَّهَ يُحَوّلُهُ كَيْفَ يَشَاءُ " [2] ، نناقش في ضوء هذه الرواية بعنوان " الماء نعمة ونقمة " ، تمهيداً للمّضِيِّ قدماً نطلع على الجدب المحيط بكافة أرجاء وطننا ، وتراكم الغازات الدفيئة في الجو الذي يسبب لظاهرة الاحتباس الحراري (الاحترار العالمي) والتغيرات في الطقس ، والكوارث الطبيعيّة التي تتكرر نتيجة عدد من الممارسات البشريّة الخاطئة ، وبالله التوفيق .

وفي يوم الأربعاء ١٦نوفمبر ٢٠١٦م استعر الحر في الكويت حتى

---

* أستاذ مساعد ، قسم العربية ، جامعة كاليكوت .

[1] . الدكتور / محمد السقا عيد ، فى بحث مختصر ، http://amlonline .blogspot .com.

[2] البيهقي (٦٧١٦) .

سُجّل وصول الحرارة إلى ٥٤ درجة مئوية ؛ يقول خبراء التنبؤات الجوية رسميا : هي أعلى ما عرفه العالم للآن ، وسجلت البصرة ثاني أعلى درجة على سطح الأرض وكانت ٩,٥٣ مئوية ، ويذكر خبراء من المنظمة العالمية للأرصاد الجوية في جنيف أنه تم تسجيل معدلات قياسية في ارتفاع درجات الحرارة في النصف الأول من العام الحالي (٢٠١٦) ، وقد يكون العام الأدفأ على الإطلاق في التاريخ . وأشاروا إلى أن الجليد في منطقة القطب الشمالي ذاب مبكراً وبسرعة ، أما ثاني أكسيد الكربون ، الذي يؤدي إلى الاحتباس الحراري ، فتركيزه وصل إلى ارتفاعات جديدة ، حيث فاق هذا العام المستوى الرمزي الضئيل جداً وهو ٤٠٠ جزء من مليون .

واليوم في العالم عديد من المناطق المنكوبة بسبب قلة المياه ، وعدم توافر المياه العذبة لديهم للشرب ؛ يموت الصبية والشيوخ ، و ينهلك غيرهم من مخلوقات الله الحية وغير الحيّة . وتعاني الهند من قلة المطر ، خصوصا ولاية كيرالا ، فتعاني من الجدب والقحط ما لم تسجل في سجلات تاريخها المناخية حتى الآن .

والماء هو سائل الحياة وعصبها ، خلق الله الإنسان والدواب وجميع الكائنات الحية من الماء ، ينزل الماء من السماء وابلاً هاطلاً ، أو ودقا تلا، أو صيبا فيه ظلمات ورعد وبرق ، وذلك كلها غيثا لإحياء الأرض بعد موتها ، ويُخرج الله الماء من الأرض عيونا متفجرة ، وجعافر وجداول متدفقة ، وأنهارا مسرعة نحو البحيرات والبحار والمحيط ، وأوجد بينها برزخًا وحاجزًا بحيث لا يطغى بحر على بحر آخر . ويُخزّن الله الماء عذبًا فراتًا طهورًا بقدرٍ في دورة طبيعية تحفظ كميته ثابتة كلَّ عام ، مع اختلاف تصريفه من بلد إلى بلد . حقاً يدور الماء بانتظام بين البحر والبر والغلاف الجوي سائلا ، أو بخارا ، أو متجمدا ، الماء هو المكوّن الأساسي في جسم الإنسان ، لا يمكن الاستغناء عنه لأي كائنٍ حيّ ما دامت السماء فوق الأرض .

ومعظم العالم محيط بالماء ، على أساس تقارير الخبراء في هذا الحقل تحتل المياه ٧١٪ من مساحة سطح الكرة الأرضية تقريباً ، ومعظم جسم الإنسان ماء ، خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ، نعم ، يبدأ الخلق من دفقة ماء ، وعندما يبلغ العام الأول تكون نسبة الماء في جسمه ٦٦٪ كما في البالغين، وتختلف نسبة الماء في كل عضو بحسب وظيفته ، فخلايا

الدماغ تتكون من ٧٠ ٪ من الماء ، وتبلغ هذه النسبة ٨٢ ٪ في الدم ، بينما تصل إلى ٩٠ ٪ في الرئتين ، وسبحانه عز وجل يقول : (وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) [١] .

ويتبخر الماء في حرارة الشمس ويرفع إلى السماء ، ويتراكم سحاباً وينزل ، فالماء النازل من السماء – حسب سجل خبراء التنبؤات الجوية – على البحار ٤٠٩ ألف كيلو متر مكعب سنويًّا ، والماء المتبخر من البحار ٤٥٥ ألف كيلو متر مكعب سنويًّا . ومن ميزة الماء أنه يشد بعض جزيئاته بعضًا بقوة تسمى قوة المط أو التوتر السطحي (Surface Tension) بهذه الميزة يصل الماء إلى الأفق سائلا . يتجمد الماء عند درجة الصفر المئوي ، فتنخفض كثافته بمقدار ١٠ بالمائة عن كثافته عندما كان سائلا ، وحينما تقل كثافته يزداد حجمه ، ولو لم تكن للماء تلك الخاصية الفريدة ، لهبط الثلج الموجود في البحار المتجمدة إلى القاع ، ويتراكم حتى السطح ، وحينئذ يصبح البحر قطعة واحدة من الثلج ، فتتجمد الأسماك وسائر كائنات البحار ، ولكن الماء بتقدير من خالقه يتجمد عند السطح ، ويظل الماء تحته سائلاً رحمة بالكائنات التي تعيش في الماء وداخل الماء .

في ضوء هذه الحقائق والظروف البيئية نراجع عن أنواع المياه الواردة في النصوص القرآنية التي تتحدث عن خاصية التطهير الموجودة في الماء ، وتفرّق بين الماء العذب والماء الطهور والماء الفرات ، وتبيّن ميزتها بوضع كلمة مناسبة في مكانها الدقيق . هي :

ماء الأرض :

الماء الذي يجعل تربة الأرض السطحية صالحة للإنبات ، الماء المقدّر المسكّن مع خلق الأرض ، يظل في دوره ثابتة حتى قيام الساعة . يقول تعالى : (وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ) [٢] يثبت الخبراء أن للماء المخزن في باطن الأرض له مستوى مرجعي يسمى مستوى الماء الجوفي .

الماء المبارك :

الماء الذي يحيي الأرض وينبت الزرع وينشر الخيـــر ، قال تعالى:

[١] الفرقان : ٥٤ .
[٢] المؤمنون : ١٨ .

(وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا به جَنَّات وَحَبَّ ٱلْحَصِيد) [1] الماء بالبركة ، هو في يد الله ، يرسل على من يشاء لإنبات جنات الفاكهة وحب الحصيد أي النبات المحصود .

ماء الأنهار والينابيع :

أودع الله الماء النازل من السماء أي الذي يسقط من السحاب فيجرى في مسالك في الأنهار والينابيع ، يستخرج بسهولة ويسر : يقول تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِى ٱلأَرْضِ) [2] .

الماء الطهور :

الماء آلة يتطهر بها ، والماء العذب الطيب ،يقول تعالى : (وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَاحَ بُشْرَى بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِه وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُوراً) [3] ، الماء النازل من السماء هو ماء مقطر يمتلك خصائص التعقيم والتطهير وليس له طعم ! لذلك وصفه البيان الإلهي بكلمة (طهوراً) .

الماء الفرات :

الماء المستساغ المذاق ، والشديد العذوبة ، فالماء الذي نشربه من الأنهار والينابيع والآبار ماء عذب ومستساغ المذاق ، لأنه يحوي كمية من المعادن مثل الحديد الذي يجعل طعم الماء حلواً : يقول تعالى : (وَأَسْقَيْنَاكُم مَّآءً فُرَاتاً) [4] ، فعندما ينزل الماء من السماء يكون طهوراً ثم يمتزج بالمعادن والأملاح في الأرض ليصبح فراتاً . . وهذا يناسبه كلمة (فُراتاً) على أساس بحث أعده د . محمد السقا عيد .

ماء الشرب :

هذه هبة ربانية تمدنا بالحياة ، بل هي أساس الحياة ، يقول تعالى : (هُوَ ٱلَّذِى أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ) [5] .

الماء المعين :

المعين : النابعُ الفائض المتدفق الذي يسيل ويسهل الحصول عليه

---

[1] ق : ٩ .
[2] الزمر : ٢١ .
[3] الفرقان : ٤٨ .
[4] المرسلات : ٢٧ .
[5] النحل : ١٠ .

والانتفاع به ، يقول تعالى : (فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَآءٍ مَّعِينٍ) [1] .

الماء الغدق :

الماء الوفير يقول تعالى : (وَأَلَّوِ ٱسْتَقَامُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّآءً غَدَقاً) [2] ، ماء غدقا أي واسعا كثيرا ، وكانوا قد حبس عنهم المطر سبع سنين ؛ يقال : غدقت العين تغدق ، فهي غدقة ، إذا كثر ماؤها . وقيل : المراد الخلق كلهم أي لو استقاموا على الطريقة طريقة الحق والإيمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين لأسقيناهم ماء غدقا أي كثيراً لنفتنهم فيه أي لنختبرهم كيف شكرهم فيه على تلك النعم .

الماء الثجّاج :

ماء منصب يتبع بعضه بعضا ، وهو ماء السيل ، يقول تعالى : (وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَاتِ مَآءً ثَجَّاجاً) [3] ، وصف الماء هنا بالثجاج للامتنان .

الماء الأجاج :

شديد الملوحة ، استعمال دقيق ، كل المياه على الأرض فيها أملاح بنسبة أو أخرى ، أما الماء في البحر هو أجاج ،غير مستساغ للشراب، قال تعالى : (مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) [4] ، (لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ) [5] ، (هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) [6] .

أودع الله هذه الأنواع كلها من الماء بقدر ، ويرسلها إلى من يشاء مدرارا ، وهذه نعمة لم يمُنّ الله بها كلَّ كبدٍ رطبةٍ فحسب ، بل غمر بهذه الرحمة المخلوقات بأسرها ، وأعدّ للمتقين جنّات تجري من تحتها الأنهار . . ففي الجنّة :

الماء السلسبيل :

وهو ماء في غاية من السلاسة وسهولة المرور في الحلق من شدة العذوبة ، ينبع من عين تسمى سلسبيلا ، يقول تعالى : (عَيْناً فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً) [7] .

---

[1] الملك : ٣٠ .
[2] الجن : ١٦ .
[3] النبأ : ١٤ .
[4] الفرقان : ٥٣ .
[5] الواقعة : ٧٠ .
[6] فاطر : ١٢ .
[7] الإنسان : ١٨ .

الماء المسكوب :

أصل السكب الصب ، أي مصبوب يجري متدفقاً من العيون والأنهار السارحة ليل نهار ، لا ينقطع أبدا ، يعطى الإحساس بالراحة للعين ، يقول تعالى : (وَظِلٍّ مَّمْدُود . وَمَآءٍ مَّسْكُوب) [١] .

وهنا في الدنيا العاجلة أنواع من الماء ، تتدفق بغزارة ولفترات طويلة من السماء فتسبب لهلاك الزرع والحرث ، أو تغور وتصير نقمة منها :

الماء المنهمر :

يقول تعالى : (فَفَتَحْنَآ أَبْوَابَ ٱلسَّمَآءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ) [٢] .

الماء المغيض :

وغاض الماء : قل ونقص (وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلأَمْرُ) [٣] .

الماء الغور :

الذي يذهب في الأرض ويغيب فيها فلا يُنتفع منه ، يقول تعالى : (أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً) [٤] ، هذه ظاهرة يسمها العلماء الغور الأكبر (Big Hole) ، ويطلقون عليها أيضًا مخروط سحب الماء الأعظم (The great depression in Ground Water) .

وفي النار أنواع من الماء منها :

الماء الصديد :

قال الله تعالى : (مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ) [٥] .

ماء المهل :

القطران ومذاب ، من معادن أو زيت مغلي . يقول تعالى : (وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوجُوهَ) [٦] .

الماء غير الآسن :

وهو الماء الجاري المتجدد الخالي من الملوثات ، يقول تعالى : في

---

[١] الواقعة : ٣٠ – ٣١ .
[٢] القمر : ١١ .
[٣] هود : ٤٤ .
[٤] الكهف : ٤١ .
[٥] إبراهيم : ١٦ .
[٦] الكهف : ٢٩ .

وصف أنهار الجنة ، (فِيهَآ أَنْهَارٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ آسِنٍ) [1] .

الماء الحميم :

حم الماء : أى سخن ، والماء الحميم : شديد السخونه والغليان ، يقول تعالى : (وَسُقُواْ مَآءً حَميماً فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ) [2] .

الماء هبة ونعمة من الله للبشرية ، هو أصل الحياة ، يُصَرّفُهُ الله حَيْثُ يَشَاءُ ، يقول الله تعالى : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ ٱلنَّاس إِلاَّ كُفُوراً) [3] ، بسبب إباءة الإنسان وكفره ، وبما كسبت يداه تلوّث كل شىء ، ينزل المطر بكل الملوثات الموجودة في الهواء ، يسبب تلوّث المياه لكوارث طبيعية لم تشاهد البشرية ولم تعرف مثلها في أوراق تاريخه المقلبّة ، رغم الوقوف على هذه الحقائق لا ينصرف الإنسان من إسرافه ، وتلوّثه ، لا ، ولن يذّكّر . . . . . مثله في ذلك مثل الدجاجات . . . جاء في ليلة ثعلب . . . دخل الخُمّ . . . . تدفع الدجاجات ، يرفع العجيج والضجيج ، تبكى وتستغيث . . . قتل الثعلب ما شاء . . . أكل وذهب . . . ، طلعت الشمس وخرجت صباحا كأن لم يحدث شىء . . . وقانا الله – بالدعاء فقط يعبأ بالعباد – اللهم صرّف الغيث علينا وحوالينا نعمةّ لا نقمة .

المصادر والمراجع :

١. القرآن الكريم
٢. سنن البيهقى
٣. مستدرك الحاكم
٤. تفسير جامع البيان عن تأويل آى القرآن للطبرى
٥. تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير
٦. تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب .
٧. http ://amlonline .blogspot .com
٨. http ://www .feedo .net/Environment/EnvironmentalProblems/ClimateChanges/GlobalWarming .htm
٩. http ://www .alukah .net/culture/0/43281

[1] محمد : ١٥ .
[2] محمد : ١٥ .
[3] الفرقان : ٥٠ .

الفقه الإسلامي

الدّعاء الجماعيّ للميّت بعد الدّفن

بقلم : د . خالد السّعد[1]

في مسائل الفقه وأحكامه ما هو مجمعٌ عليه ومنه ما هو مختلفٌ فيه ، ومن القواعد الشّرعيّة التي ينبغي أن تُراعى في الفتوى : لا يُنكَر المختلف فيه وإنّما يُنكَر المجمع عليه [2] . وهذا يصدق في كثير من الأمور الخلافيّة كالقنوت في صلاة الصّبح وكوصل ركعتي الشّفع بالوتر أو إفراد الوتر وكعدد الرّكعات في صلاة التراويح وكقراءة البسملة في الصّلاة .... إلخ . وقد ذكر الأئمّة المحقّقون أنّ كلا الأمرين جائز وأنّه لا يجوز أن ينكر المخالف على الآخر في ذلك لأنّ هذه الصّور كلّها مشروعة .

ومن المسائل التي ينبغي أن تنفسح لها صدور المشايخ وطلبة العلم : مسألة الدعاء الجماعي للميّت بعد دفنه ، وصورته أن يجهر شخص بالدعاء ويؤمّن الباقون خلفه . فهذه الصّورة يعترض عليها بعض الإخوة ويعدّونها ابتداعًا في الدّين وربّما زجروا الدّاعي وانتهروه بزعم مخالفته لسنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في ذلك . فقد روى أبو داود في سننه (٣٢٢١) عن عثمان رضي الله عنه أنّه قال : كان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إذا فرغ من دفن الميّت وقف على قبره فقال : (استغفروا لأخيكم وسلوا له بالتثبيت فإنّه الآن يُسأل) . يقول هؤلاء الإخوة : إنّ الحديث فيه دلالة على أنّ الدّعاء للميّت بعد دفنه فرديّ وليس جماعيًّا وفي السّرّ لا في الجهر ، والعدول عن ذلك مخالف لسنّته عليه الصّلاة والسّلام . والرّد على هذا يقتضي شيئًا من التّفصيل وذلك من خلال ما يلي :

أوّلا : البدعة هي (الطّريقة المخترعة في الدّين) أي ما ليس له أصل يدلّ عليه ، أمّا ما كان له أصل فلا يقال عنه بدعة ، وإنّما يُصنّف ضمن مسائل الخلاف أو الرّاجح والمرجوح أو نحو ذلك . وقد وردت عدّة آثار في كتب الحديث وغيرها تصلح في مجموعها أن تكون أصلا يُستدلّ به على

[1] الأستاذ المساعد بجامعة البحرين . Alsaad .khaled@hotmail .com

[2] الأشباه والنّظائر للسّيوطي : القاعدة ٣٥ .

جواز الجهر بالدّعاء عند القبر أو الدّعاء الجماعي بعد الدّفن ، فمنها :

١) ما رواه ابن إسحاق في السيرة : أنّ عبدالله بن مسعود رضي الله عنه كان يحدّث فيقول : قمت من جوف الليل في غزوة تبوك فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر فاتّبعتها أنظر إليها ، فإذا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأبوبكر وعمر وإذا عبدالله ذو البجادين المزني قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم في حفرته وأبوبكر وعمر يدنيانه إليه ، وهو يقول : (أدنيا إليّ أخاكما) فدلّياه إليه ، فلمّا هيّأه لشقّه قال : (اللهمّ إنّي أمسيت راضيًا عنه فارض عنه) ، قال ابن مسعود : يا ليتني كنت صاحب الحفرة [1] .

٢) روى ابن ماجة في سننه (١٥٥٣) عن سعيد بن المسيّب قال : حضرت ابن عمر في جنازة فلمّا وضعها في اللحد قال : بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله . فلمّا أخذ في تسوية القبر على اللحد قال : اللهمّ أجرها من الشّيطان ومن عذاب القبر ، اللهمّ جاف الأرض عن جنبيها وصعّد روحها ولقّها منك رضوانا . قلت : يا ابن عمر أشيء سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أم قلته برأيك ؟ قال : إنّي إذًا لقادر على القول ، بل شيء سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

٣) روى ابن أبي شيبة في كتابه المصنّف (١١٦٩٦) عن عمر رضي الله عنه أنّه كان يقول إذا أدخل الميّت في قبره – أو إذا سوّي عليه – : اللهمّ أسلم إليك المال والأهل والعشيرة والذّنب العظيم فاغفر له

٤) وروى أيضًا (١١٧٠٩) عن عمر بن سعيد قال : صلّيت مع عليّ رضي الله عنه على يزيد بن المكفف فكبّر عليه أربعًا ثمّ مشى حتى أتاه فقال : اللهمّ عبدك وابن عبدك نزل بك اليوم فاغفر له ذنبه ووسّع عليه مدخله فإنّا لا نعلم منه إلا خيرًا وأنت أعلم به .

٥) وروى أيضًا (١١٧٠١) عن أنس رضي الله عنه أنّه دفن ابنًا له فقال : اللهمّ جاف الأرض عن جنبيه وافتح أبواب السّماء لروحه وأبدله بداره دارًا خيرًا من داره .

٦) وروى أيضًا (١١٧٠٥) عن عبدالله بن أبي بكررضي الله عنهما قال : كان أنس بن مالك إذا سوّى على الميّت قبره قام عليه فقال

[1] سيرة ابن إسحاق : ٦٠٦/٢ بتحقيق أحمد فريد .

: اللهمّ عبدك ردّ إليك فارأف به وارحمه ، اللهمّ جاف الأرض عن جنبيه وافتح أبواب السّماء لروحه وتقبّله منك بقبول حسن ، اللهمّ إن كان محسنًا فضاعف له في إحسانه وإن كان مسيئًا فتجاوز عنه .

ففي هذه الرّوايات وغيرها كان هؤلاء الصّحابة الكرام – وهم أفقه النّاس بالسّنّة وأحرصهم على التّأسّي بها – يجهرون بالدّعاء عند القبر ، وقد سمعهم مَنْ حولهم وحكوا ذلك عنهم .

ثانيًا : حديث أبي داود الذي تقدّم ذكره (استغفروا لأخيكم وسلوا له بالتثبيت) يحتمل أن يدعو كلّ واحد بمفرده ويحتمل أن يدعو واحد ويؤمّن الباقون ، فلا يصحّ تقييده بوجه دون وجه . وقد سئل الشّيخ عبدالعزيز بن باز عن هذه المسألة فأجاب : " . . . ولا حرج في أن يدعو واحد ويؤمّن السّامعون أو يدعو كلّ واحد بنفسه للميّت " [1] . وللشّيخ رحمه اللّه فتوى أخرى قيّد فيها القول بالجواز فقال : " ليس فيه مانع إذا دعا واحد وأمّن السّامعون فلا بأس إذا لم يكن ذلك مقصودًا وإنّما سمعوا بعضهم يدعو فأمّن الباقون ، ولا يسمّى هذا جماعيًّا لكونه لم يُقصد " [2] .

ومن حقّ الآخرين أن يخالفوا الشّيخ الجليل في هذه الجزئيّة أو هذا التقييد فليس في العلم كبير ، وهو قوله : " فلا بأس إذا لم يكن ذلك مقصودًا " . أقول : حتى وإن كان ذلك مقصودًا أو كان مرتّبًا له ، فما المانع منه وما المحذور الشّرعيّ في أن يجتمع النّاس على شخص واحد ممّن يحسن الدّعاء وخاصّة في هذا الزّمان الذي كثر فيه اللغط والكلام بين المشيّعين أثناء الدّفن ؟ فالدّعاء الجماعي في هذه الحالة أيقظ للقلوب وأجمع للهمّة وأبعد عن اللّغو وأحفز للنّاس على التريّث وعدم الانصراف .

ثالثًا : هناك قضايا ومسائل استحسنها العلماء من قديم وأجازوها مع اختلافها بعض الشّيء عن الهيئة التي كانت عليها زمن النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم ما دام ذلك يحقّق مصلحة دينيّة معتبرة . فمن أمثلة ذلك : أنّ عبداللّه بن عبّاس كان يجهر بفاتحة الكتاب على الجنازة ، فلمّا سئل عن هذا قال : إنّما فعلت لتعلموا أنّها سنّة . ومن ذلك ما ذهب إليه بعض الصّحابة كابن عمر وبعض الأئمّة كالشّافعيّ من استحباب قراءة القرآن عقب الدّفن ، مع أنّ هذا شيء لم يفعله رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم .

[1] مجموع فتاوى ابن باز : ١٣/٢٠٥ .
[2] مجموع فتاوى ابن باز : ١٣/٣٤٠ .

وأزيد من هذا استحباب بعضهم تلقين الميّت عند الدّفن . وقد سئل الإمام ابن تيميّة عن ذلك فقال : " تلقينه بعد موته ليس واجبًا بالإجماع ولا كان من عمل المسلمين المشهور بينهم على عهد النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم وخلفائه ، بل ذلك مأثور عن طائفة من الصّحابة كأبي أمامة وواثلة بن الأسقع ، فمن الأئمّة من يرخّص فيه كالإمام أحمد وقد استحبّه طائفة من أصحابه وأصحاب الشّافعيّ ، ومن العلماء من يكرهه لاعتقاده أنّه بدعة . فالأقوال فيه ثلاثة : الاستحباب والكراهة والإباحة وهذا أعدل الأقوال " [1] . فإذا كان هذا حال التلقين ورأيهم فيه ، فالدّعاء الجماعيّ أولى بالإباحة ، لأنّ له أصلاً يدلّ عليه .

ومن ذلك أيضًا : أنّ النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم كان يقوم في رمضان قيامًا طويلا ويصلّي إحدى عشرة أو ثلاث عشرة ركعة ، فاحتاج النّاس بعد ذلك إلى التخفيف فصلّى بهم أبيّ بن كعب في زمن عمر رضي اللّه عنهما ثلاثًا وعشرين ركعة مع تخفيف القيام . وكان النّاس بالمدينة في إمارة عمر بن عبدالعزيز يصلّون تسعًا وثلاثين ركعة ، فكان تضعيف العدد عوضًا عن طول القيام .

وفي عصرنا اضطرّ بعض أئمّة المساجد إلى أن يقسّم قيام رمضان قسمين : قسم في أوّل الليل وقسم في وسطه أو آخره لأجل التخفيف . ولا يعارض ذلك سنّة النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم ، فالقصد هو إحياء اللّيل بالقيام والقرآن ولكن بالطّريقة الملائمة التي لا تشقّ على النّاس .

رابعًا : مسألة الدّعاء الجماعي هذه من مسائل الخلاف التي لا يسوغ فيها الإنكار كما تقدّم ، وإذا كان بعض المشايخ أو طلبة العلم لا يفعلونها فليس لهم أن يُنكروا على أتباع الرّأي الآخر ما دام الدليل يحتمل ذلك ، وما دامت المسألة تقبل تعدّد الآراء . وقد رأينا أئمّة الإسلام الذين يُقتدى بهم يجوّزون أشياء ولا يفعلونها ، كما كان أحمد بن حنبل يرخّص في التلقين ولا يفعله ، وابن تيميّة لم يكن يرى القنوت في صلاة الفجر ولكنّه كان يفتي بأنّ من صلّى وراء إمام يقنت فإنّه يتابعه في قنوته ، والأمثلة على هذا كثيرة ، واللّه أعلم ، وصلّى اللّه على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وبارك وسلّم .

[1] مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية : ٢٤/٢٩٧ – ٢٩٨ .

شبهات حول التمذهب الفقهي

دراسة تطبيقية على المذهب الشافعي

(الحلقة الثالثة الأخيرة)

الدكتور عبد الإله بن حسين العرفج

قواعد فقهية لضبط التعامل مع الخلاف الفقهي :

لم يكتف فقهاء المذاهب الأربعة بتقرير خيرية المذاهب الأربعة وتمسكها بالأدلة الشرعية في فتاواهم أو مؤلفاتهم ، بل زادوا الأمر تأكيداً بتقرير عدد من القواعد الفقهية التي تتعامل مع الخلاف الفقهي بأريحية وإيجابية .

والقاعدة الفقهية أشبه ما تكون بالقانون الفقهي الذي يسير عليه الفقيه .

فمن هذه القواعد قاعدة : " الاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد " ، وتعني أن اجتهاد القضاة وولاة الأمر المبني على أدلة ظنية في ثبوتها أو دلالاتها أو على أدلة أصولية مختلف فيها لا يصح أن ينقضه قاضٍ أو ولي أمر آخر ، وإنما يستأنف فيما يأتي ، وليس في ما مضى .

والمقصود بالاجتهاد هو الاجتهاد الذي يبنى على أدلة ظنية في ثبوتها أو دلالاتها أو على أدلة أصولية مختلف فيها ، أما الأدلة القطعية في ثبوتها ودلالاتها كآية قرآنية أو حديث متواتر يفيدان القطع في دلالتهما فإن الخلاف فيها غير سائغ ، الأمر الذي يقتضي مشروعية الإنكار على من خالف الآية أو الحديث المتواتر إذا كانا يدلان على المقصود دلالة قطعية .

ومن أدلة هذه القاعدة الفقهية واقع الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، فقد كان بعضهم يحكم بحكم شرعي ، ثم يأتي من بعده فيخالفه فيه ، ولكنه لا ينقض ما ترتب على اجتهاد من سبقه ، فعلى سبيل المثال كان أبو بكر رضي الله عنه يقسم أموال بيت المال بالسوية ، ولما طلب منه تفضيل المهاجرين والأنصار قال : " إنما أجورهم على الله ، وإنما هذا مغانم ، والأسوة في المغانم أفضل من الأثرة " ، أما عمر رضي الله عنه فكان يفاضل بين الناس بالقرابة والسابقية ، وقال : " كان

لأبي بكر رضي الله عنه في هذا المال رأي ، ولي رأي آخر ، رأى أبو بكر أن يقسم بالسوية ، ورأيت أن أفضل المهاجرين والأنصار ، ولا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه " ، ففضل المهاجرين والأنصار ، وفضل البدريين على غيرهم ، وجعل للناس على قدر إسلامهم ومنازلهم ، رواه الطحاوي في معاني الآثار .

ومنها قاعدة : " لا إنكار في مسائل الاجتهاد " ، وهي قاعدة أعلى من سابقتها ، وتعني أن لا ينكر بعض العلماء المجتهدين على بعض، فضلاً عن نقض أقضيتهم وأحكامهم ، وبناء على ذلك فإن معظم الخلاف الفقهي بين فقهاء المذاهب الأربعة هو مما يسوغ فيه الخلاف ؛ لأن لكل قول منها دليلا عند أصحابها .

ولأضرب على هذا مثالاً واحداً مما اختلفت فيه المذاهب الأربعة على عددها ، ألا وهي مسألة قراءة الفاتحة للمأموم .

فقد رأى الشافعية أن قراءة الفاتحة ركن ، فيجب على المأموم قراءتها في السرية والجهرية ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : " لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب " ، رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وأبو داود والترمذي وابن ماجه .

ورأى المالكية أن المأموم يجب عليه قراءتها في السرية دون الجهرية ؛ اكتفاء بقراءة الإمام جهراً ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة ، فقال : " هل قرأ معي أحد منكم آنفاً " ؟ فقال رجل : نعم يا رسول الله ، فقال : " فإني أقول : ما لي أنازَع القرآن " ، فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يجهر فيه من الصلوات بالقراءة حين سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رواه أحمد والنسائي وأبو داود والترمذي وابن ماجه .

ورأى الحنابلة أن المأموم يجب عليه قراءتها في السرية وفي أثناء سكتات الإمام في الجهرية ، فإن لم تتسع سكتات الإمام لقراءتها سقط وجوبها ، وقد توصلوا لهذا الرأي جمعا بين دليلي الشافعية والمالكية .

ورأى الحنفية كراهية قراءتها تحريما للمأموم في السرية والجهرية ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : من صلى خلف إمام ، فإن قراءة الإمام له قراءة " ، رواه أبو حنيفة في مسنده .

سبب الإنكار اليوم في مسائل الخلاف :

من الأسباب التي تدعو إلى الإنكار في مسائل الخلاف التنظير الخاطئ ، فمن ذلك الرأي الذي نسبه ابن قاسم الحنبلي رحمه الله – في " حاشية الروض المربع " (٣١١/٢) لابن تيمية رحمه الله من رفضه عموم هذه القاعدة ، قال ابن قاسم : " قال شيخ الإسلام : قولهم : مسائل الاجتهاد لا إنكار فيه ، ليس بصحيح ، فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول بالحكم أو العمل ، أما الأول فإن كان القول يخالف سنة أو إجماعا قديما وجب إنكاره اتفاقا ، وإن لم يكن كذلك فإنه ينكر عند من يقول :المصيب واحد ، وهم عامة السلف والفقهاء " .

وهذا القول من ابن تيمية يدل على وجوب الإنكار في مسائل الاجتهاد عند جمهور السلف والفقهاء ؛ لأنهم يقولون : إن المصيب واحد ، ولكن الصحيح أن جمهور الفقهاء يقولون : إن المصيب واحد ، ولكنه غير معيَّن ، ولذلك لا يتوجه الإنكار على المجتهدين ولا على مقلِّديهم ، وهذا هو اتفاق المذاهب الأربعة .

ودعني أقتصر على المذهب الحنبلي ، فممن أكَّد هذا المعنى الإمام البهوتي الحنبلي رحمه الله حيث قال – في " شرح منتهى الإرادات " (٢٧٥/١) : " ولا إنكار في مسائل الاجتهاد ، أي ليس لأحد أن ينكر على مجتهد أو مقلِّد فيما يسوغ فيه الاجتهاد ، ولو قلنا : المصيب واحد ؛ لعدم القطع بعينه " ، وممن نص عليه أيضا العلامة ابن ضويان رحمه الله حيث قال – في " منار السبيل " (١٢٥/١) : " ولا إنكار في مسائل الاجتهاد ؛ لعدم الدليل ، ولو قلنا المصيب واحد " .

ولذلك فإنه من الخطأ التعصب والاحتساب على أتباع المذاهب الفقهية الأربعة فيما اختلفوا فيه من مسائل الاجتهاد ، بل إن هذا من عمل الجهال في الحقيقة ، فقد قال العلامة السيوطي الرحيباني رحمه الله – في " مطالب أولى النهى " (٦٦٣/١) : (ولا إنكار في مسائل الاجتهاد) ، قال ابن الجوزي في السر المصون : رأيت جماعة من المنتسبين إلى العلم ، يعملون عمل العوام ، فإذا صلى الحنبلي في مسجد شافعي تعصب الشافعية ، وإذا صلى الشافعي في مسجد حنبلي وجهر بالبسملة تعصب الحنابلة ، وهذه مسألة اجتهادية ، والعصبية فيها مجرد أهواء يمنع منها العلم " .

ومن النصوص الراقية في التعامل مع الخلاف الفقهي ما قاله الإمام النووي رحمه الله – في شرح صحيح مسلم (٣٢/٢) : " ثم العلماء إنما ينكرون ما أُجمع عليه ، أما المختلَف فيه فلا إنكار فيه ؛ لأن على أحد المذهبين : كل مجتهد مصيب ، وهذا هو المختار عند كثيرين من المحققين أو أكثرهم ، وعلى المذهب الآخر : المصيب واحد ، والمخطئ غير متعين لنا ، والإثم مرفوع عنه ، لكن إن ندبه على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف فهو حسن محبوب مندوب إلى فعله برفق ، فإن العلماء متفقون على الحث على الخروج من الخلاف إذا لم يلزم منه إخلال بسنة أو وقوع في خلاف آخر ، وذكر أقضى القضاة أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي في كتابه " الأحكام السلطانية " خلافا بين العلماء في أن من قلده السلطان الحسبة ، هل له أن يحمل الناس على مذهبه فيما اختلف فيه الفقهاء إذا كان المحتسب من أهل الاجتهاد ، أم لا يغيِّر ما كان على مذهب غيره ؟ والأصح أنه لا يغير ؛ لما ذكرناه ، ولم يزل الخلاف في الفروع بين الصحابة والتابعين فمن بعدهم رضي الله عنهم أجمعين ، ولا ينكر محتسب ولا غيره على غيره ، وكذلك قالوا : ليس للمفتي ولا للقاضي أن يعترض على من خالفه إذا لم يخالف نصاً أو إجماعاً أو قياساً جلياً " .

لقد أشار النووي رحمه الله إلى قاعدة فقهية ثالثة تتعلق بالموضوع، وهي قاعدة : " الخروج من الخلاف مستحب " ، وهي قاعدة في التعامل مع الخلاف الفقهي أكبر إيجابية من مجرد ترك الإنكار فيه ، إذ إنها تعني أهمية مراعاة الخلاف الفقهي بالخروج منه ، داعية إلى أداء العبادات والمعاملات بحيث تصح على أقوال جميع الفقهاء إن أمكن .

ولهذه القاعدة تطبيقات كثيرة ، منها أنه يستحب لمن ارتكب ناقضاً للوضوء على مذاهب بعض الفقهاء ، لكنه غير ناقض على مذهبه، أن يعيد الوضوء؛ خروجا من خلاف العلماء ، خصوصا إذا كان إماماً في الصلوات ، فلو أكل حنفي أو مالكي أو شافعي لحم جزور ، فإنه يستحب له إعادة الوضوء ؛ مراعاة لخلاف الحنابلة .

ومثله المتوضئ الذي يعتقد استحباب بعض أفعال الوضوء ، لكنها شروط على مذاهب بعض الفقهاء ، فإنه يستحب له الإتيان بها ؛

خروجا من الخلاف ، ومن أمثلة ذلك دلك أعضاء الوضوء والموالاة ، فالأول شرط عند المالكية ، والثاني شرط عند الحنابلة ، وكلاهما مستحب عند الشافعية ، فيستحب له أن يأتي بهما ؛ مراعاة لخلافهما .

ومثال ثالث وهو استيعاب الرأس بالمسح في الوضوء ، فإنه ركن عند المالكية والحنابلة ، أما الشافعية فيكفي عندهم مسح أقل جزء من الرأس ولو بعض شعرة في حدود الرأس ، فيستحب للمتوضئ الشافعي أن يستوعب رأسه ؛ مراعاة لخلافهما ، والأمثلة كثيرة جدا .

وقد اشترط الفقهاء لإعمال هذه القاعدة ثلاثة شروط : أحدها أن لا تؤدي مراعاة الخلاف إلى مخالفة السنة الثابتة ، ومن ثم فإنه يستحب رفع اليدين في المواضع المعروفة في الصلاة ، ولا يراعى الخلاف في ذلك ؛ لأن السنة صحَّت بالرفع ، ثانيها أن لا تؤدي مراعاة الخلاف إلى الوقوع في خلاف آخر ، وثالثها أن يكون الخلاف قوياً ، فإن كان ضعيفاً فهو هفوة أو زلة ، فلا تستحب مراعاته ، ومن ثم فإنه يستحب الصوم في السفر لمن لا يشق عليه ، ولا يراعى خلاف الظاهرية في منعهم الصوم في السفر ؛ لضعف الخلاف .

التبديع والإنكار في مسائل الخلاف الفقهي :

من المسلَّمات عند علماء المذاهب الفقهية الأربعة أنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد المعتبر الصادر من أهله ؛ لأن اجتهادَ عالم ليس أولى بالصواب من اجتهاد عالم آخر ، ومع ذلك - ومن واقع تجربتي الشخصية -فقد كنت أتفاجأ - من حين لآخر - بحدوث وقائع مؤلمة ، تتضمن الإنكار والاحتساب على أتباع المذاهب الفقهية الأربعة في أمور ثبت لديهم صحتها في مذاهبهم الفقهية بأدلة معتبرة .

ومن الأمثلة على ذلك إنكار بعض إدارات المساجد في السعودية على أئمة المساجد المداومين على قنوت الفجر ، طالبين منهم التوقف عن مداومة القنوت في صلاة الفجر ؛ اعتمادا منهم على خطاب لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله ، موجَّه إلى وزير الحج والأوقاف ؛ لتعميمه على جميع أئمة المساجد في السعودية ، المقتضي بدعية قنوت الفجر وعدم مشروعيته .

وللشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله عدة فتاوى حول المداومة على قنوت الفجر ، فمن فتاواه قوله - إجابةً عن سؤال بشأن قنوت الفجر : " أما الفجر فلا يشرع فيها القنوت إلا لعلة نازلة من النوازل ، . . . ، أما ما يفعله بعض الناس من الاستمرار في قنوت الفجر دائماً دائماً ، ولو من دون نزول نازلة ، فهذا مكروه ولا ينبغي ، بل بدعة على الصحيح من أقوال العلماء " .

ولعل الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله تابع في بدعية قنوت الفجر ومنع أئمة المساجد منه شيخَه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله المفتي الأسبق في السعودية ، فقد وجَّه الشيخ محمد خطابا إلى رئيس عام هيئات الأمر بالمعروف بالحجاز ، يخبره فيه بوجوب منع أئمة المساجد في بلدة ما عن القنوت في صلاة الفجر وعن سجود السهو لنسيانه ؛ لأن هذا السجود مبطل للصلاة " ، فتاوى ورسائل الشيخ (٢٤٢/٢ – ٢٤٣) .

وبسبب هذا التصرف الغريب قام الشيخ أحمد بن عبدالعزيز المبارك المالكي رحمه الله رئيس القضاء الشرعي في الإمارات بإرسال رسالة - ولديَّ صورة لها - إلى الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله ، مؤرخة في ١٤٠٧/١٠/١٤هـ ، يبين له فيها أدلة القائلين باستحباب قنوت الفجر ، وختمها بقول ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (١٩٢/١) : " فأهل الحديث متوسطون بين هؤلاء وبين من استحبه عند النوازل وغيرها ، وهم أسعد بالحديث من الطائفتين ، فإنهم يقنتون حيث قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتركونه حيث تركه ، فيقتدون به في فعله وتركه ، ويقولون : فعله سنة ، وتركه سنة ، ومع هذا فلا ينكرون على من داوم عليه ، ولا يكرهون فعله ، ولا يرونه بدعة ، ولا فاعله مخالفا للسنة ، كما لا ينكرون على من أنكره عند النوازل ، ولا يرون تركه بدعة ، ولا تاركه مخالفا للسنة ، بل من قنت فقد أحسن ، ومن تركه فقد أحسن " .

وللمعلومية فإن سنية قنوت الفجر وسجود السهو لنسيانه هو مذهب الشافعية ، قال الإمام الشافعي رحمه الله في الأم " (١٥٦/١) : " وإن ترك القنوت في الفجر سجد للسهو ؛ لأنه من عمل الصلاة " ، وقال أيضا (١٤٨/٧ – ١٤٩) : " ويقنت في صلاة الصبح بعد الركعة الثانية ، قنت

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يترك - فيما علمناه - القنوت في الصبح قط ، وإنما قنت النبي صلى الله عليه وسلم حين جاءه قتل أهل بئر معونة خمس عشرة ليلة ، يدعو على قوم من المشركين في الصلوات كلها ، ثم ترك القنوت في الصلوات كلها ، فأما في صلاة الصبح فلا أعلم أنه تركه ، بل نعلم أنه قنت في الصبح قبل قتل أهل بئر معونة وبعد ، وقد قنت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعلي بن أبى طالب رضي الله عنهم ، كلهم بعد الركوع ، وعثمان رضي الله عنه في بعض إمارته ، ثم قدم القنوت على الركوع ، وقال :ليدرك من سبق بالصلاة الركعة " .

ومن الوقائع التي تدل على ضيق صدور البعض من مسائل الاجتهاد الفقهي ما جرت به العادة عندنا في الأحساء من أنه إذا تقدم رجلٌ لإدارة المساجد للحصول على وظيفة إمام مسجد ، كان يختبره أحد القضاة ؛ للتأكد من علمه وخلقه وأهليته للإمامة ، فتقدم أحد إخواننا المالكية لوظيفة إمام مسجد ، فسأله القاضي عن حكم القنوت في صلاة الفجر ، فأجاب بالجواز ، مستدلا بقول الإمام مالك رحمه الله ، فما كان من القاضي إلا أن قال له بملء الفم " : ومن مالك " ؟ ! وأنا أقول :

وليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم

مالك بن أنس إمام دار الهجرة ، هو الذي عرض عليه ثلاثة خلفاء - الواحد بعد الآخر - أن ينشروا كتبه في الآفاق ، ويلزموا الناس بالعمل بها ، فكان يأبى ؛ مراعاةً لخلاف الناس وتوسيعا عليهم .

ومثله الجهر بالبسملة ، فقد زار الأحساءَ في عام ١٤١٥هـ داعيةٌ رسمي ، وصلى في جامع ، إمامُه شيخ الشافعية في الأحساء ، فجهر الشيخ بالبسملة ، وما إن فرغ من صلاته حتى انقض ذلك الداعية منكرا عليه جهره بالبسملة .

فأجدها فرصة مناسبة للتذكير بما نقلناه في حلقة سابقة عن الرحيباني – في " مطالب أولي النهى " (٦٦٤/١) – عن ابن الجوزي أنه قال : " رأيت جماعة من المنتسبين إلى العلم ، يعملون عمل العوام ، فإذا صلى الحنبلي في مسجد شافعي تعصب الشافعية ، وإذا صلى الشافعي في

مسجد حنبلي وجهر بالبسملة تعصب الحنابلة ، وهذه مسألة اجتهادية ، والعصبية فيها مجرد أهواء يمنع منها العلم " .

فقارن هذا المسلك الغريب بفعل أستاذنا الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله عندما صلى صلاة الفجر إماما في جامع شيخنا الشيخ أحمد الدوغان ، فقنت الشيخ عبدالفتاح في الصلاة ؛ تأدبا مع شيخنا ، وعلل فعله - مع أنه حنفي المذهب ، ولا يرى سنية القنوت في الفجر - بأنه يسدد دين الشافعية عندما صلى الإمام الشافعي الصبح ، قريبا من مقبرة الإمام أبي حنيفة ، فترك القنوت ؛ تأدبا معه ، رحمهم الله جميعا ، انظر الإنصاف للدهلوي (١١٠)

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

فإذا اجتمعت البسملة والقنوت في إنسان فقد عرَّض نفسه للإنكار والاحتساب ، والدليل أن إماماً شافعياً لأحد المساجد في الأحساء كان يجهر بالبسملة في الصلاة الجهرية ، ويقنت في صلاة الفجر ، فاشتكى أحد المأمومين - لغرض في نفسه - على الإمام ، وأخذت الشكوى تصعد إلى أعلى وأعلى ، فكان القرار قاضيا بنصح الإمام بالكف عن هذه الأمور ، فإن تاب عنها وإلا يعزل ، ولولا لطف الله ثم تدخل بعض العقلاء لعزل هذا الإمام .

فكان يدور في خلدي : لو كان الإمام الشافعي رحمه الله إماما لهذا المسجد ، وكان الإمام أحمد رحمه الله وزيرا لشؤون المساجد ، أيعزله عن إمامته ؟ وهو الذي يقول فيه : " كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس ، فهل لهذين من خلف ، أو منهما عوض " كما ذكر ذلك الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٠/٤٥) .

ودخلت ليلة عيد الفطر في سنة من السنوات ، فقام أحد أئمة المساجد من إخواننا الشافعية بالتكبير في مكبرات الصوت بعد صلاة العشاء بساعة تقريبا ؛ مذكرا المسلمين بسنية التكبير تلك الليلة ، وبدون أن يجمع المصلين له ، فلم يفاجأ إلا بداخل يطلب منه - بأمر من أعلى سلطة شرعية في الأحساء في ذلك الوقت - التوقف فورا عن التكبير ؛ لأنه بدعة - حسب رأيه - .

وقد يكون هذا المنكر معتمداً على فتوى الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله ببدعية التكبير الجماعي في العيدين ، حيث قال : " أما التكبير الجماعي المبتدَع فهو أن يرفع جماعة - اثنان فأكثر - الصوت بالتكبير جميعاً ، يبدؤونه جميعاً وينهونه جميعاً بصوت واحد وبصفة خاصة ، وهذا العمل لا أصل له ولا دليل عليه ، فهو بدعة في صفة التكبير ، ما أنزل الله بها من سلطان ، فمن أنكر التكبير بهذه الصفة فهو محق ، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم : " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد " ، أي مردود غير مشروع ، . . . ، وإنما تثبت العبادة بنص من الكتاب أو السنة أو إجماع قطعي " .

ولكن فتوى الشيخ ابن باز رحمه الله - رغم توقفي فيها - تقصر بدعة التكبير الجماعي على اشتراك مجموعة من الناس بالتكبير معاً ، أما إمام المسجد فقد قام بالتكبير منفردا ، وبدون أن يجمع له أحداً من الناس ، وهذا الأمر لا يمكن الارتياب في أنه سنة مشروعة ، فقد ثبت فعله عن السلف الصالح رحمهم الله .

قال ابن قدامة رحمه الله – في " المغني " (٢٥٥/٣) : " ويظهرون التكبير في ليالي العيدين ، وهو في الفطر آكد ؛ لقول الله تعالى : " ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ") ، وجملته أنه يستحب للناس إظهار التكبير في ليلتي العيدين ، في مساجدهم - وهذا ما فعله إمام المسجد تماما - ومنازلهم وطرقهم ، مسافرين كانوا أو مقيمين ؛ لظاهر الآية المذكورة ، قال بعض أهل العلم في تفسيرها : لتكملوا عدة رمضان ، ولتكبروا الله عند إكماله على ما هداكم ، ومعنى إظهار التكبير رفع الصوت به ، واستحب ذلك لما فيه من إظهار شعائر الإسلام وتذكير الغير ، وكان ابن عمر يكبر في قبته بمنى ، يسمعه أهل المسجد ، فيكبرون ، ويكبر أهل الأسواق ، حتى ترتج منى تكبيرا ، قال أحمد : كان ابن عمر يكبر في العيدين جميعا ، ويعجبنا ذلك ، واختص الفطر بمزيد تأكيد لورود النص فيه " .

٥ ـ دعوى كسل المتمذهبين وفتورهم وضعف هممهم :

من الدَّعاوى التي ادعاها رافضو التمذهب الفقهي - سبباً لنشوئه - كسلُ المقلِّدين وضَعف عزائمهم وفتور هممهم ، ولذلك - حسب دعواهم

-لجأوا إلى المذاهب الفقهية؛ اعتمادا على اجتهاد من سبقهم من العلماء ، وإراحةً لعقولهم من التفكير والاجتهاد .

ولقد تملّكني أشد العجب من هذه الدعوى السقيمة المتضمنة سوء الظن بالعلماء والحط من أقدارهم ، وقد كنت أحيانا أفكّر في عقل أصحاب هذه الدعوى ، هل قالوها في حالة حضور فكر واكتمال عقل ، أم كان أصحابها يعيشون حالةً من غياب الفكر ونقص العقل .

إن المظنون بالكسالى وضعيفي العزائم وقاصري الهمة أن يعكفوا على متون مختصرة ، يلوكونها ويكررونها ويرددونها ترديد الببغاوات ، فهل اقتصر علماء المذهبية الفقهية على ذلك ؟!

إن من أيسر الوسائل لنقض تلك الدعوى النظر في النِّتاج الفكري للعلماء ، والتعرف على مؤلفاتهم من حيث الكم والكيف ، ولو ذهبنا نستقرأ لطال المقام جدا .

أمثلة من النتاج الفقهي للشافعية :

سأكتفي ببعض العلماء الذين يزعم البعض كسلهم وفتور عزائمهم وقصور هممهم ، مقتصرا على بعض مؤلفاتهم الفقهية فقط :

- الحسن بن القاسم الطبري رحمه الله (٢٦٣ – ٣٥٠هـ) ، من مؤلفاته العدة في عشرة أجزاء ، ومنها الإفصاح ، ومنها المحرر في الخلاف .
- أحمد بن محمد بن سهل أبو الحسين الطبَسي رحمه الله (٣٥٥هـ)، من مؤلفاته شرح مختصر المزني في ألف جزء ، قال الحاكم : " كنت أقدِّر أنها أجزاء خفاف حتى قصدته وسألته أن يخرج لي منها شيئا ، فأخرج فإذا هي بخط أدق ما يكون ، وفي كل جزء دستجة أو قريب منها " .
- أحمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الإسفراييني رحمه الله (٣٤٤ – ٤٠٦هـ) ، من مؤلفاته تعليقه على مختصر المزني في خمسين مجلدا ، ذكر فيها خلاف العلماء وأقوالهم ومآخذهم ومناظراتهم حتى كان يقال له : الشافعي الثاني .
- طاهر بن عبدالله بن طاهر الطبري أبو الطيب رحمه الله (٣٤٨ – ٤٥٠هـ) ، من مؤلفاته شرح مختصر المزني في أحد عشر جزءا ، ومنها التعليقة الكبرى .

- علي بن محمد بن حبيب الماوردي رحمه الله (٣٦٤ – ٤٥٠هـ) ، من مؤلفاته الحاوي الكبير في أكثر من عشرين مجلدا ، ومنها الأحكام السلطانية والإقناع وقانون الوزارة وسياسة الملك وغيرها .
- عبدالرحمن بن محمد بن أحمد الفوراني رحمه الله (٣٨٨ – ٤٦١هـ)، من مؤلفاته الإبانة عن أحكام فروع الديانة في عشرة أجزاء .
- نصر بن إبراهيم بن نصر أبو الفتح المقدسي رحمه الله (٣٧٧ – ٤٩٠هـ) ، من مؤلفاته التهذيب في عشر مجلدات ، ومنها التقريب قريب من هذا الحجم ، ومنها المقصود وهو أحكام مجردة في جزأين متوسطين ، ومنها الكافي في مجلد ، ومنها الانتخاب الدمشقي ، قال النووي : في بضعة عشر مجلدا ، وهو على هيئة تعليق القاضي أبي الطيب .
- إمام الحرمين عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني رحمه الله (٤١٩ – ٤٧٨هـ) ، من مؤلفاته نهاية المطلب في دراية المذهب في عشرين مجلدا ، ومنها البرهان والغياثي والورقات في أصول الفقه، وغيرها.
- عبدالواحد بن إسماعيل بن أحمد الروياني رحمه الله (٤١٥ – ٥٠٢هـ)، وقد بلغ من تمكنه في الفقه أن قال : " لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من حفظي " ، من مؤلفاته بحر المذهب في ثلاثة عشر مجلدا ، وهو من أطول كتب الشافعية .
- محمد بن أحمد بن الحسين فخر الإسلام أبو بكر الشاشي القفال رحمه الله (٤٢٩ – ٥٠٧هـ) ، من مؤلفاته الشافي في شرح الشامل – ولعله شرح لمختصر المزني – في عشرين مجلدا ، ومات وقد بقي فيه نحو الخمس ، ومنها حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء في مجلدين ، ومنها المعتمد وهو كالشرح للحلية ، وهو قريب من حجم وسيط الغزالي ، وغيرها .
- يحيى بن سالم بن أسعد العمراني رحمه الله (٤٨٩ – ٥٥٨هـ) ، من مؤلفاته البيان شرح المهذب في ثلاثة عشر مجلدا ، ومنها الزوائد ، وشرح وسائل الغزالي ، وغرائب وسيط الغزالي ، وغيرها.
- محمد بن الموفق بن سعيد نجم الدين الخبوشاني رحمه الله (٥١٠ – ٥٨٧هـ) ، من مؤلفاته تحقيق المحيط في ستة عشر مجلدا .

- إبراهيم بن منصور بن المسلم الخطيب رحمه الله (٥١٠ – ٥٩٦هـ)، من مؤلفاته شرح المهذب في أكثر من عشرة أجزاء .
- عثمان بن عيسى بن درباس ضياء الدين أبو عمرو الكردي رحمه الله (٥١٦ – ٦٠٢هـ) ، من مؤلفاته الاستقصاء لمذاهب الفقهاء في شرح المهذب في عشرين مجلدا إلى كتاب الشهادات .
- أحمد بن موسى بن يونس الموصلي رحمه الله (٥٧٥ – ٦٢٢هـ) ، من مؤلفاته كتاب في الفقه يدخل في خمسة عشر مجلدا ، ومن مؤلفاته شرح التنبيه .
- الإمام عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم أبو القاسم الرافعي رحمه الله (٥٥٧ – ٦٢٣هـ) ، من مؤلفاته شرح وجيز الغزالي في بضعة عشر مجلدا .
- الإمام يحيى بن شرف بن مري محيي الدين النووي رحمه الله (٦٣١ – ٦٧٦هـ) ، من مؤلفاته روضة الطالبين في اثني عشر مجلدا ، ومنها المجموع في شرح المهذب في سبعة مجلدات ، وصل فيه إلى أثناء باب الربا ، ومات وقد بقي منه أكثر من النصف ، ومنها التنقيح والإيضاح ، وغيرها .
- أحمد بن عيسى بن رضوان كمال الدين العسقلاني رحمه الله (٦٢٧ – ٦٨٩هـ) ، من مؤلفاته شرح التنبيه في اثني عشر مجلدا .
- أحمد بن محمد بن علي الأنصاري نجم الدين أبو العباس ابن الرفعة المصري رحمه الله (٦٤٥ – ٧١٠هـ) ، من مؤلفاته الكفاية في شرح التنبيه في خمسة عشر مجلدا ، ومنها المطلب في شرح الوسيط في نحو أربعين مجلدا ، ولم يكمله .
- خليل بن كيكلدي صلاح الدين العلائي رحمه الله (٦٩٤ – ٧٦١هـ)، من مؤلفاته التعليقات الأربع : الكبرى والوسطى والصغرى والمصرية في اثني عشر مجلدا ، ومنها نهاية الإحكام في دراية الأحكام .
- أحمد بن حمدان بن أحمد شهاب الدين أبو العباس الأذرعي رحمه الله (٧٠٨ – ٧٨٣هـ) ، من مؤلفاته قوت المحتاج في شرح المنهاج في ثلاثة عشر مجلدا ، ومنها غنية المحتاج وهو أصغر من القوت في ثمانية

مجلدات ، وفي كل منهما ما ليس في الآخر ، ومنها التوسط والفتح بين الروضة والشرح في نحو عشرين مجلدا ، ومنها التنبيهات على أوهام المهمات في نحو ثلاثة مجلدات وصل فيه إلى الطلاق .

- محمود بن أحمد بن محمد الهمذاني ابن خطيب الدهشة رحمه الله (٧٥٠ – ٨٣٤هـ) ، من مؤلفاته تكلمة شرح منهاج السبكي في ثلاثة عشر مجلدا ، ومنها إغاثة المحتاج إلى شرح المنهاج في أربعة أجزاء .
- علي بن أحمد بن عمر البوشي رحمه الله (٧٩٠ – ٨٥٦هـ) من مؤلفاته شرح أنوار الأردبيلي ، كمل منه – ما عدا ربع العبادات – في أحد عشر مجلدا ضخمة .
- محمد بن الفخر عثمان بن علي الماردِيني رحمه الله (٨٧١هـ) ، من مؤلفاته شرح المنهاج في أربعة عشر مجلدا ، وبقي منه نحو مجلد .

إن تلك الأسماء السابق ذكرها تشكل نسبة قليلة من علماء المنهجية المذهبية ، وقد اقتصرت على بعض مؤلفاتهم الفقهية ، أما لو سردت بعض مؤلفاتهم في العلوم الأخرى لطالت القائمة ، بل لو سردت أسماء علماء ألفوا مجلدات في غير علم الفقه لطالت القائمة جدا ، فهل يعقل أن يكون الباعثُ لهم على اتباع المنهجية الفقهية الكسلَ والفتورَ وضعف العزيمة وقصور الهمة ؟!!!

خاتمة البحث :

تعرضت المذاهب الفقهية الأربعة لعدد من الاتهامات التي أثارها خصومها ، وأبرزها ما يلي :

١. إهمال الاستدلال بالكتاب والسنة .
٢. تعطيل حركة الاجتهاد الفقهي .
٣. التعصب المذموم للمذهب الفقهي .
٤. نشر روح التحزب والتفرق .
٥. ارتباطها بالكسل والفتور وضعف الهمة .

وقد ناقش البحث تلك الاتهامات ، وأجاب عنها من خلال التطبيق على المذهب الشافعي .

زراعة الأعضاء البشرية في ضوء الشريعة الإسلامية

(الحلقة الأولى)

د . خورشيد أشرف إقبال الندوي (لكناؤ – الهند)

المدخل :

زراعة الأعضاء هي عبارة عن نقل جزء من عضو أو عضو كامل من أعضاء الجسم أو أنسجة من مكان إلى مكان آخر ، إما داخل الشخص نفسه أو لشخص آخر .

أو هى استئصال عضو من الأعضاء البشرية المزدوجة من إنسان حي أو ميت ، ثم زرعه في إنسان آخر مضطر إليه رجاء نفعه وحياته .

وينبغي التنويه بأن هناك ثلاث جهات مهمة في موضوع زرع الأعضاء، وهي :

المتبرع : هو الشخص الذي تؤخذ منه الأعضاء .

المستقبل : هو الجسم الذي يتلقى الغريسة (العضو) .

الغريسة (الرقعة) : ويقصد به العضو المزروع ، والغريسة إما أن تكون عضوا كاملا مثل الكلية والكبد . . . . إلخ ، أو تكون جزءا من عضو كالقرنية ، أو تكون نسيجا أو خلايا كالدم .

هذا ، ويُطلق على الأعضاء أو الأنسجة التى تُزرع داخل جسم الشخص نفسه مسمى الطعم الذاتى ، وتُسمى عمليات زراعة الأعضاء التى تُجرى بين كائنين من الجنس نفسه عمليات الطعم المغاير .

وتتمثل الأعضاء التى يمكن زراعتها في القلب والكلى والكبد والرئتين والبنكرياس والأمعاء والغدة الزعترية . وتشمل الأنسجة كلاً من العظام والأوتار (وكلاهما يُشار إليه بعمليات ترقيع العضلات والعظام) والقرنية والجلد وصمامات القلب والأوردة .

وتُعد زراعة الكلى هى أكثر عمليات زراعة الأعضاء شيوعًا على مستوى العالم ، بينما تفوقها عمليات زراعة العضلات والعظام عددًا بأكثر من عشرة أضعاف .

وقد يكون المتبرعون بالأعضاء أحياءً أو متوفين دماغيًّا ويمكن الحصول على أنسجة المتبرعين المتوفين بأزمات قلبية وذلك في غضون ٢٤ ساعة من توقف ضربات القلب ، على عكس الأعضاء ، ويمكن حفظ معظم الأنسجة (باستثناء القرنية) وتخزينها لفترة تصل إلى ٥ سنوات ، وهذا يعني أنها يمكن أن تُخزن في " بنوك " (الأعضاء) .

موقف الشريعة الإسلامية من الآدمي وأعضاء جسده :

إن الشريعة الإسلامية أساسها على مصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها ، فكل مسألة عن العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة ، وإنما أدخلت فيها بالأقاويل ، فالشريعة عدل الله بين عباده ، ورحمته بين خلقه وظلمة أرضه ، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أتم دلالة وأصدقها [1] .

وإذا كان المقصود بالآدمي الحي : هو الكائن الحي الذي يباشر وظائف الحياة ، وهو الذي يوجد منذ أن ينفخ فيه الروح في بطن أمه ، ويظل موجودا طالما تدب فيه الحياة إلى أن يأتيه موته ، فإن الشريعة الإسلامية قد بلغت مداها في حرصها على حرمته وكرامته ، حيث قامت بفرض الحدود والقصاص لمن اعتدى عليه في نفسه أو بدنه ، فإذا اعتدى عليه بالقتل العمد فالقود (أي القصاص) ويكون من حق ولي الدم العفو عن هذه العقوبة الدنيوية ، أما العقوبة الأخروية فهي الخلود في نار جهنم لقوله تعالى : (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ

[1] انظر : إعلام الموقعين ، ابن القيم ٢/١٤ – ١٥ ، نظرية الضرورة في الفقه الجنائي الإسلامي والقانون الجنائي الوضعي ، يوسف قاسم ص : ٢٤ – ٢٥ .

وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً) [1] .

أما إذا كان القتل خطأ فإن عقوبته المقررة هي : الدية والكفارة قال تعالى : (وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ) [2] .

أما في الاعتداء على ما دون النفس ، ففي حالة العمد القصاص أيضاً ، وفي حالة الخطأ الدية ، قال تعالى : (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلأَنْفَ بِٱلأَنْفِ وَٱلأُذُنَ بِٱلأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ) [3] .

يتضح من هذه النصوص أن الشريعة الإسلامية حريصة كل الحرص على حرمة جسد الآدمي ، باعتباره بنيان الرب ملعون من هدم بنيانه ، فالحماية للآدمي حالة الحياة مقررة بصورة لا تقبل المزيد ، وبحدود حماسة وقاطعة لكل الشرور والمفاسد ، تردع المعتدي فلا تجعله يفكر في العود للجريمة مرة أخرى ، وتزجر كل من تحدثه نفسه بمحاكاته في جرمه .

كما أن إعمال مبدأ الحفاظ على جسد الإنسان وسلامته وصونه ، يعني عدم جواز التعدي على المريض ، الذي لا ترجى حياته ولا أمل في شفائه ، وأن من تعدى عليه ، فأنهى حياته فإن عليه القصاص : لأنه أنهى حياة مستقرة ، وإن كان هذا التعدي على سبيل الخطأ ففيه الدية والكفارة ، وإن كان التعدي على عضو من أعضائه ، ففيه القصاص إن كان التعدي على سبيل العمد ، أو الدية إن كان لا يمكن القصاص أو كان التعدي خطأ .

إذن لا يوجد فرق بين جسد الإنسان المريض والصحيح من حيث المعصومية والحرمة المقررة لهما : لأن المرض علة تعتري الإنسان لا تأثير لها في الحماية المقررة له على الإطلاق ، فالعصمة ثابتة بصورة تامة للمريض

[1] سورة النساء ، الآية : ٩٣ .
[2] سورة النساء ، الآية : ٩٢ .
[3] سورة المائدة ، الآية : ٤٥ .

والصحيح على حد سواء [1] .

ولا مراء أيضاً في أن المرض ليس دائما علامة قرب الأجل أو على حتمية الموت عقبه ، كما لا يقتصر مبدأ المعصومية على الإنسان الصحيح والمريض فحسب ، بل يمتد إلى من ظهرت عليه أمارات الموت ، أو كان في النزع الأخير ، فلا يجوز التعدي عليه بالقتل ، لما يتمتع به من معصومية ، فإن تم قتله وهو في النزع فعلى القاتل القود شأنه في ذلك كشأن من كان عليلا لا يرجى برء علته [2] .

قال ابن عابدين : ولو قتله وهو في النزع قتل به ، وإن كان القاتل يعلم أنه لا يعيش بهذا النزع ، لأن النزع غير محقق وفاة صاحبه ، فإن المريض قد يصل إلى حالة شبه النزع بل قد يظن أنه قد مات ، ويفعل به كالموتى ، ثم يعيش بعده طويلا [3] .

أما إذا كان المساس بجسد الآدمي ، لنقل عضو منه لنفع غيره ضرورة ، ودون ما ضرر جمّ بالمنقول منه ، وقارنه بالمنفعة التي تعود على المنقول إليه ، فيدور الحكم في هذا بين الجواز وعدمه تبعا لحال الآدمي المنقول منه العضو من الحياة أوالموت .

وهذا ما نتناوله ـ بإذن الله تعالى ـ في السطور القادمة .

الانتفاع بعضو الآدمي الحي :

إذا أمعنا النظر فيما قاله الفقهاء القدامى في حكم اقتطاع العضو من الآدمي الحي معصوم الدم لنفع آدمي حي غيره ، لوجدنا أن جمهور الفقهاء يكادون يجمعون على منع اقتطاع العضو من الآدمي الحي معصوم الدم كي ينتفع به غيره ، حتى وإن كان هذا الغير مضطرا إلى ذلك .

وهاكم أقوالهم :

أ- الحنفية

---

[1] انظر : أحكام نقل الدم في القانون المدني والفقه الإسلامي ، د/ مصطفى عرجاوي ص : ١٠٢ .

[2] انظر : المغني ، ابن قدامة ٦٨٤/٧ .

[3] رد المحتار على الدر المختار ٣٥٠/٥ .

١- جاء في الفتاوى الخانية : الانتفاع بأجزاء الآدمي لا يجوز ، قيل للنجاسة وقيل للكرمة وهو الصحيح [١] .

٢- قال ابن عابدين : وإن قال له آخر : اقطع يدي وكلها لا يحل : لأن لحم الإنسان لا يباح في الاضطرار لكرامته [٢] .

ب - المالكية

١- جاء في بلغة السالك : " أما آدمي فلا يجوز تناوله سواء كان حياً أو ميتا حتى لو مات المضطر ، وهذا هو المنصوص لأهل المذهب " [٣] .

٢- قال ابن جزي : " ولا يجوز التداوي بالمحرمات كما لا يجوز أكل المضطر ابن آدم " [٤] .

ج - الشافعية

١- جاء في نهاية المحتاج : " ويحرم قطعه البعض من نفسه لغيره ولو مضطرا مالم يكن ذلك نبياً ، فيجب له ذلك ، كما يحرم أن يقطع من غيره لنفسه من معصوم " [٥] .

٢- قال الخطيب الشربيني : " ويحرم جزما على شخص قطعه بعض نفسه لغيره من المضطرين؛ لأن قطعه لغيره ليس فيه قطع البعض لاستبقاء الكل " [٦] .

د- الحنابلة :

١- جاء في كشاف القناع : " فإن لم يجد المضطر إلا آدميا محقون الدم لم يبح له قتله ولا إتلاف عضو منه مسلما كان المحقون أو كافرا أو ذميا أو مستأمنا؛ لأن المعصوم الحي مثل المضطر ، فلا يجوز له إبقاء نفسه بإتلاف مثله " [٧] .

---

[١] مطبوعة على هامش الفتاوى الهندية ٣٥٤/٥ .
[٢] رد المحتار على الدر المختار١٣٦/١ ، ٢١٥/٥ .
[٣] بلغة السالك لأقرب المسالك ، أحمد الصاوي ٦٨٣/١ .
[٤] قوانين الأحكام الشرعية ص : ١٩٤ .
[٥] نهاية المحتاج للرملي ١٦٣/٨ .
[٦] مغني المحتاج ٣١٠/٤ .
[٧] المنصور البهوتي ١٩٨/٦ .

٢- قال ابن قدامة : فإن لم يجد المضطر شيئا لم يبح له أكل بعض أعضائه : لأنه ربما قتله ، فيكون قاتلا لنفسه ولا يتيقن حصول البقاء بأكله ، وإن لم يجد إلا آدميا محقون الدم لم يبح له قتله إجماعا ولا إتلاف عضو منه " [١] .

هـ - الظاهرية :

١- قال ابن حزم : " وكل ما حرم الله عز وجل من المأكل والمشرب . . فهو كله عند الضرورة حلال حاشا لحوم بني آدم وما يقتل ، من تناوله فلا يحل من ذلك شيئ أصلا لا بضرورة ولا بغيرها " [٢] .

و- الزيدية

١- جاء في البحر الزخار : " ويجوز للضرورة كل محرم إلا قتل محترم الدم " [٣] .

٢- وفي شرح الأزهار : " والتداوي بالنجس محرم ولا خلاف بين العلماء ، إن ما أجمع على تحريمه فإنه لا يجوز التداوي به مطلقا " [٤] .

ز- الإمامية :

١- جاء في جواهر الكلام : " لا يجوز له أن يقطع من غيره ممن هو معصوم الدم اتفاقا؛ إذ ليس فيه إتلاف البعض لإبقاء الكل ، وإن قطع بسلامة المقطوع منه ، وكذلك لا يجوز للإنسان أن يقطع جزءا منه للمضطر وإن قطع بالسلامة " [٥] .

٢- قال المحقق الحلي : " وإذا لم يجد المضطر إلا آدميا ميتا حل له إمساك الرمق من لحمه ، ولو كان حيا محقون الدم لم يحل ، ويحرم أخذ شئ منه ؛ لأنه لا يجوز له أن يتلف غيره لإبقاء نفسه " [٦] .

---

[١] المغني ٨/٦٠١ – ٦٠٢ .
[٢] المحلى ٨/ ١٣٤ .
[٣] أحمد المرتضى ٥/ ٣٣٣ – ٣٣٤ .
[٤] أحمد المرتضى ٤/ ١٠٠ – ١٠١ .
[٥] محمد النجفي ٣٦/ ٣٦ – ٤٤٢ .
[٦] شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام ٣/ ٢٣١ .

ح - الإباضية :

قال محمد يوسف أطفيش : " ويحرم بيع لحم الإنسان وسائر أجزائه ولا ينتفع بميتة آدمي " [1] .

الأدلة :

استدل جمهور الفقهاء على ما ذهبوا إليه في هذه المسألة بما يلي :

١- أن في قطع الأعضاء من الآدمي إهدار لكرامته التي أثبتها المولي تبارك وتعالى له بقوله : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) [2] .

ولا يشغب على هذا أن فيه نفعاً لآدمي آخر .

٢- الإجماع : وهو ما أشار إليه ابن قدامة بقوله : " وإن لم يجد – المضطر – إلا آدميا محقون الدم لم يبح له قتله إجماعا ، ولا إتلاف عضو منه ، مسلما كان أو كافرا ؛ لأنه مثله فلا يجوز أن يبقى نفسه بإتلافه ، وهذا لا خلاف فيه " [3] .

٣- العمل بالقاعدة الفقهية (الضرر لا يزال بالضرر) [4] ، فالمعصوم الحي مثله في الحرمة مثل من اضطر إلى قطع جزء منه للانتفاع به ، فلا يجوز للمضطر إبقاء نفسه بإتلاف مثله ، لأنه ليس بأولى منه .

٤- أن أطراف الإنسان في الحرمة كحرمة نفسه ، فإتلاف منفعة العضو إتلاف للنفس من وجه ، وهو ملحق بالإتلاف من كل وجه ، فكان محرما تعظيما للآدمي [5] .

يتبين مما سبق أن اقتطاع عضو من إنسان حي معصوم الدم لزرعه في إنسان آخر حي لا يجوز ، حتى ولو كان مضطرا إليه ، وتتوقف حياته عليه بشهادة أهل الخبرة العدول .

---

[1] شرح كتاب النيل ٨/ ٢١ .
[2] سورة الإسراء ، الآية : ٧٠ .
[3] المغني ٨/ ٦٠١ – ٦٠٢ .
[4] الأشباه والنظائر ، السيوطي ص : ٨٦ .
[5] انظر : المصادر الفقهية السابقة وحكم التداوي بالمحرمات ، د . عبد الفتاح إدريس ص : ٢٩٤ .

الانتفاع بأعضاء الميت :

إن حرمة وكرامة بني آدم تمتد إلى ما بعد الموت في صورة احترام جثة الميت وعدم جواز المساس بها ، فقد شرع لجثمان الإنسان حماية خاصة لا يجوز التعدى عليها : وذلك من وجوب التكفين والتدفين وعدم نبش القبور ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كسر عظم الميت ككسره حياً " [1] .

وقد تناول فقهاؤنا القدامى مسألة الانتفاع بأعضاء الميت وحكمها ، وفيما يلي نسرد أقوالهم من مختلف المذاهب الفقهية :

قال الحصفكي من الحنفية : إن حرمة استعمال الآدمي بجميع أجزائه حتى لو طحن في دقيق لم يؤكل [2] .

وقال المواق من المالكية: والنص عدم جواز أكل المضطر للميت [3] .

وقال النووي من الشافعية : يحرم الانتفاع بشعر الآدمي وسائر أجزائه لكرامته بل يدفن شعره وسائر أجزائه [4] .

وقال ابن قدامة من الحنابلة : إن وجد المضطر معصوما ميتا لم يبح أكله في قول أصحابنا [5] .

وفي شرح كتاب النيل للأباضية : ومن ضر ميتا كمن ضره حيا في الإثم والضمان [6] .

يتبين من أقوال الفقهاء المذكورة أعلاه أنهم لا يجيزون الانتفاع بأعضاء الإنسان الميت أو استخدامها في العلاجات الطبية ؛ وذلك تعظيما لشأنه الذي خلقه الله من التكريم والتفضيل .

---

[1] أخرجه أبو داود في السنن ٣/٢٢١ – ٢١٣ كتاب الجنائز ، باب في الحفار يجد العظم رقم الحديث : ٣٠٨ ، وابن ماجة في السنن ١/٥١٦ كتاب الجنائز ، باب في النهي عن كسر عظم الميت رقم الحديث : ١٦١٦ .

[2] الدر الختار ١/١٣٦ مع حاشية رد المحتار .

[3] التاج والإكليل ٣/٢٢٣ .

[4] روضة الطالبين ٣/٢٨٥ .

[5] المغني ٨/٦٠٢ .

[6] شرح كتاب النيل ٢/٦٤١ .

وكان مستند الفقهاء فيما ذهبوا إليه ما يلي :

١ـ ما رواه عمران الأنصاري عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أنزل الداء والدواء ، وجعل لكل داء دواء ، فتداووا ولا تداووا بالحرام [١] .

وجه الاستدلال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى من التداوي بالمحرمات ، ومن المحرمات أن تستخدم أعضاء الإنسان في التداوي لغيرهم من الناس سواء كان الإنسان المنزوع منه العضو حيا أو ميتا .

٢ـ ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كسر عظم الميت ككسره حيا [٢] .

ووجه الدلالة من الحديث هو إثبات حرمة الإنسان حيا وميتا في شريعة الإسلام ، وأن محاولة المساس بجسد الميت فيها آلام شديدة كالمساس بجسد الحي .

ولكنه باستقراء كتب الفقهاء القديمة نجد لهم بعض العبارات توحي بجواز الأكل من ميتة الآدمي في حالة الضرورة ، وعدم وجود ما يمكن أكله من المحرمات أو النجاسات على سبيل القطع ، حيث جاء في قول بعض الشافعية والحنابلة : وللمضطر أكل ميتة الآدمي إذا لم يجد ميتة غيره ، لأن حرمة الحي أعظم من حرمة الميت ، إلا إن كان الميت نبيا ، فلا يجوز الأكل منه جزما لشرفه على غيره بالنبوة [٣] .

وبناء على هذا يجوز الانتفاع بعضو من أعضاء الميت لمداواة آدمي آخر حي ، وزرعه في بدنه إذا دعت الضرورة إليه .

(للبحث صلة)

---

[١] رواه أبو داود في السنن ٧/٤ كتاب الطب ، باب في الأدوية المكروهة حديث رقم ٣٨٧٤ .

[٢] سبق تخريجه .

[٣] مغنى المحتاج للشربيني ٣٥٩/١ ، حاشية الباجوري على ابن قاسم الغزي ٣٠٢/٢ ، المغني ١١/ ٧٩ .

دراسات وأبحاث أدبية وتاريخية

المدينة المنورة

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي
تعريب : محمد فرمان الندوي

الحجرة النبوية الشريفة :

إن الحجرة النبوية الشريفة التي فيها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبر رفيقيه سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما ، على جهة القبلة في الجزء الشمالي من المسجد النبوي ، على مقربة من رياض الجنة ، صنعت من اللون الأصفر ومن النحاس ، وعلى جهة القبلة والجانب الشمالي صالة المسجد النبوي ، إلا أن هناك حجرة تُعرف بحجرة السيدة فاطمة رضي الله عنها .

طول الحجرة النبوية الشريفة ٥٣½/ قدماً ، وعرضها ٥٠/ قدماً ، وفوقها أربع منارات ، إحداها المنارة الخضراء ، التي تكون بارزة فوق المسجد النبوي كله ، وقد بنى أولاً الحجرة النبوية الشريفة سيدنا عمر ابن عبد العزيز رحمه الله تعالى ، وحينما حدث خطر من بعض الأعداء أنهم سيصلون بواسطة النفق إلى القبر الشريف فأذيبت جدران زجاجية بالرصاص من جوانبه الأربعة عمقاً ، وللحجرة أربعة أبواب ، تكون مغلقة حذراً وحيطة ، في الغرب باب الوفود ، وفي الجنوب باب التوبة ، وهو على جهة القبلة ، ويقدَّم السلام قائماً أمامه ، وفي الشمال باب فاطمة ، وفي الشرق باب التهجد .

هذه الحجرة كانت بيتاً لعائشة رضي الله عنها ، توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختيرت هذه الحجرة كقبر للرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الأنبياء يدفنون في الموضع الذي توفوا فيه ، وقد أوصى سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه قبل وفاته بأن يدفن في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان هذا الموضع ملكاً لابنته السيدة عائشة ، فجعل قبره أيضاً قريباً منه في حجرته ، ثم أرسل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل وفاته ابنه عبد الله بن عمر إلى عائشة رضي الله عنها ، للاستيذان بأن يدفن في هذه

الحجرة ، وقال : إذا أذنت (السيدة عائشة) فلا بأس به ، وإلا في مقبرة عامة المسلمين ، قالت السيدة عائشة : قد خصصت هذا الموضع بنفسي ، لكن أوثره اليوم على نفسي ، فدفن سيدنا عمر رضي الله عنه بعد وفاته ، ودفنت السيدة عائشة بعد وفاتها في مقبرة البقيع مع أمهات المؤمنين ، غير أن موضع قبر في الحجرة ما زال موجوداً ، ولكن سيدنا عمر رضي الله عنه لم يكن من محارم السيدة عائشة رضي الله عنها ، فآثرت السيدة عائشة رضي الله عنها لدفنها مقبرة البقيع عوضاً عن هذا المكان .

فالذي يقوم أمام الحجرة الشريفة من جهة القبلة يكون أمام النبي صلى الله عليه وسلم ، وانصرافاً من قدميه قليلاً قبر سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وانصرافاً كثيراً من قدميه أيضاً قبر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فالذي يمر بالمواجهة الشريفة يسلّم على النبي صلى الله عليه وسلم أولاً ، ثم على أبي بكر ثانياً ، ثم على عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، ولدى كل مواجهة حلقة مدورة ، يخرج الزائر مسلّماً على الجميع من صالة جهة الخروج .

الصفة النبوية ، ودكة الأغوات :

تقع الصفة النبوية في شمال الحجرة النبوية ، هذه هي الصفة التي يقيم فيها المهاجرون الفقراء في العهد النبوي ، ويُسمون بأصحاب الصفة ، وهي الآن في صورة دكة ، طولها ١٢/ متراً ، و ٤٠/ قدماً ، وعرضها ٨/ أمتار وقدمان ، وترتفع من السطح الأرضي نصف متر ، وأحيطت من كل جانب بالنحاس ، وفي شرقها مستودع ، وأمامها صُفة أخرى ، صنعت لاستراحة شيخ الحرم النبوي ، وهي أمامها ، هذه الحجرات والأمكنة كلها في جهة واحدة ، أولاها على جهة القبلة الحجرة النبوية الشريفة ، ثم حجرة فاطمة ، ثم دكة الآغوات .

النقا وحاجر :

وفي غرب المدينة المنورة موضع باسم النقا وحاجر ، وظل هذا الموضع ذا هواء طلق ، ومحبباً لدى الجميع ، صنعت هنا محطة القطارات وعدة مبان ، وهنا باب العنبرية ، الذي يدخل منه الحجاج والزوار الآخرون عامة في المدينة المنورة .

مقبرة البقيع :

هذه مقبرة البقيع ، كان اسمها الأصلي بقيع الغرقد ، والغرقد باللغة العربية موضع الآكام [1] ، وكان هذا الموضع مقبرة المدينة المنورة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم حتى الآن ، دفن فيها عشرة آلاف صحابي ، يجدر بالذكر منهم السيدة عائشة وجميع أمهات المؤمنين إلا أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها ، ودفنت السيدة فاطمة وبنات النبي صلى الله عليه وسلم الأخريات وسيدنا الحسن وعديد من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم في حظيرة من هذه المقبرة ، كما أن ابن النبي صلى الله عليه وسلم إبراهيم ، وعمه عباس والخليفة الثالث سيدنا عثمان وعبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص ، وأبا سعيد الخدري ونافعاً مولى عمر والإمام مالك دفنوا متفرقين في هذه المقبرة ، إن طول البقيع خمس مأة قدم ، كما أن عرضها ٣٣٣/ قدماً ، وقرب البقيع في شمالها موضع ورد ذكره في كتب السيرة ، ويُعرف بالمناصع ، وينشق الآن شارع جيد من المسجد النبوي ، ووسعت كثيراً مقبرة البقيع .

سوار المدينة :

وقد بني سوار للمدينة صيانةً لها في عام ٢٦٣هـ ، ولم يزل باقياً ، أعاد بناءه أخيراً السلطان سليمان العثماني عام ٩٤٦م ، يوجد هذا السوار حتى الآن متكسراً مهجوراً ، له ثمانية أبواب : الباب المصري ، الباب الشامي ، باب قباء ، باب بُصرى ، والباب المجيدي ، باب الجمعة ، باب الحمام ، الباب الجديد ، والباب الصغير ، هذا الباب قد انهدم قبل مدة .

سقيفة بني ساعدة :

هذا الموضع يتصل بالباب الشامي ، ويُعد من أشهر آثار المدينة المنورة ، تشاور فيه الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عن الخلافة ، وانتخب فيه سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقع الآن في صورة منتزه مثلث على الجانب الغربي من المدينة .

المناخة :

وهو موضع واسع في وسط المدينة على الجانب الغربي الجنوبي من

[1] كان هذا الموضع منطقة آكام الغرقد قبل أن يخصص بالمقبرة .

المسجد النبوي ، كأنه أصبح محطةً للمدينة المنورة ، وهو موقف سيارات الحجاج والزوار ، ويُعرف بسوق المدينة أيضاً ، وقد اعتبره النبي صلى الله عليه وسلم سوق المسلمين ، قدم هنا النبي صلى الله عليه وسلم ، وأشار برجله ، وقال : هذا سوقكم ومتجركم .

الآبار المشهورة والماء :

في المدينة المنورة آبار عديدة أيضاً ، منها تاريخية ، أمثال : بئر حاء، وبئر بضاعة ، وبئر عروة ، وبئر غرس ، ولهذه الآبار ذكر في السيرة النبوية ، منها بئر حاء تقع على الباب المجيدي لسوار المدينة المنورة عند الباب الشامي للمسجد النبوي ، وبئر بضاعة في منزل قرب سقيفة بني ساعدة والباب الشامي ، وبئر عروة على بعد ميل ونصف ، خروجاً من باب العنبرية ، وبئر غرس عند قباء ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعمل ماءه ، فيطلبه حيناً لآخر ، وهناك آبار أخرى ، يرسل الماء إلى المدينة منها ومن نهر آخر ، وهو معروف بالعين الزرقاء ، شق هذا النهر بأمر من سيدنا معاوية رضي الله عنه في عهد خلافته على مسافة ميلين ونصف ، من العين الزرقاء في قباء ، ويكون ماؤها أعذب وأكثر برودةً ، وتشتد برودته بالهواء ، وإذا صبّ الماء في جرة ، ووضعت إلى أربع ساعات في هواء طلق كان أبرد مثل الثلج ، ويكون أكثر عذباً مع شدة برودته ، هذا النهر شق من ١١ – ١٢/ عيناً ، وهنا أيضاً نهر آخر بعين الشهداء ، قد جف ، وهما نهران قديمان تاريخياً في المدينة المنورة ، وتوجد في المدينة المنورة ٢٢/ عيناً ، لا تحمل مكانةً مثل الأولين .

شجر النخيل :

توجد النخيل في أشجار المدينة المنورة كثيراً ، ولها مأة نوع ، وأجود تمور العرب تمور المدينة ، تزرع فيها زراعة خاصة ، يحملها الحجاج بوجه عام ، مثل ماء زمزم إلى بيوتهم .

السكك الحديدية للقطارات :

قد بسط الترك من حلب إلى المدينة المنورة سكة حديدية للقطارات، صارت مهجورةً الآن ، وتقع محطتها فوق باب العنبرية حي الجانب الجنوبي للمدينة .

ظلت المدينة المنورة مركزاً سياسياً للعالم الإسلامي منذ هجرة

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عهد سيدنا علي رضي الله عنه ، ثم صانها الله تعالى عامة من الخصومات السياسية والاعتصامات الشعبية ، فلم تكن أوضاع هذه المدينة الاقتصادية والعمرانية أكثر تطوراً ومدنية في التاريخ .

آثار المدينة التاريخية وضواحيها :

قباء :

على مسافة ميلين من المدينة في جهة الجنوب الغربي ، يوجد فيه اخضرار كثير ، وبساتين الثمار والفواكه ، ومسجد ، يُعرف بأول مسجد في الإسلام ، ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضيلة أداء الصلاة فيه [1] ، كما تناول القرآن الكريم أيضاً ذكره قائلاً : لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فيه ، وقال عن أهل قباء : فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ . (التوبة : ١٠٨) .

كان قباء آخر منزل النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته إلى المدينة المنورة ، ثم دخلها ، توجد على جهة القبلة قريباً من المسجد النبوي آثار بيتين : أحدهما بيت كلثوم بن هدم الذي نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قدم قباء ، وثانيهما بيت سعد بن خيثمة الذي اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم للزيارة واللقاء .

بئر أريس :

تقع بئر أريس في قباء ، بشَّر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عدداً من الصحابة بالجنة ، وقد سقط فيها زمن سيدنا عثمان بن عفان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي كان يختم به هو وخلفاؤه الراشدون ، وكان ماؤها ملحاً ، ورُوي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قد مزج فيه لعابه ، فصار ماؤها عذباً ، وجفت الآن هذه البئر ، فتوسعت أراضيها ، وأقيم فيها منتزه .

مسجد الضرار :

اتخذ المنافقون مسجد الضرار في قباء إضراراً بالمسلمين وإرصاداً

[1] ورد في المستدرك للحاكم عن سهل بن حنيف رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من خرج حتى يأتي هذا المسجد ، يعني مسجد قباء ، فيصلي فيه كان كعدل عمرة (ج ٣/ ١٢) .

لمن حارب الله ورسوله ، وقد استنكره القرآن الكريم في سورة التوبة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدمه بوحي منه .

العوالي وسنح :

موضع على بعد قليل من شمال شرق قباء ، يُعرف بالعوالي ، لاصق بحرة واقم ، وعلى هذه الجهة كانت قصور بني قريظة واليهود وقلاعهم ، هذا الجزء من المدينة المنورة يرتفع قليلاً من سطح الأرض ، وفي العوالي موضع باسم : سنح ، كان فيه منزل سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومصنعه ، ومسافة العوالي من المسجد النبوي الشريف حوالي ميلين .

منطقة أحد :

تسمّى المنطقة التي تلي جبل أحد بأحد ، وتقع من المدينة المنورة على مسافة ميلين ونصف ، ويمتد جبل أحد حوالي ثلاثة أمثال ، يلوح من بعيد أنه مجموعة جبال عديدة ، لونه أحمر ، وقبل جبل أحد هضبة صغيرة ، عيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها الرماة ، وأمرهم بأن يلزموا مركزهم ويستطلعوا أحوال الكفار ، وفي سفح هذه الهضبة وادي قناة ، الذي اختفت فيه كتيبة من الكفار ، فأغارت على المسلمين فجأة ، وقد دارت رحى غزوة أحد في الوادي والساحة بين هذه الهضبة وجبل أحد ، والآن في هذا الوادي مقبرة لشهداء أحد ، فيها قبر سيدنا حمزة رضي الله عنه وآثار أخرى .

وقد استراح رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناحية من هذا الجبل بعد ما جُرح قليلاً ، غير أنه كان يحب هذا الجبل ، قال صلى الله عليه وسلم : أحد جبل يحبنا ونحبه [1] ، وهو على باب من أبواب الجنة [2] ، يزور رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المقبرة ويسلّم على شهدائها ويدعو لهم، وفي نواحي أحد وجدت أحياء ، منها حي سيدنا حمزة رضي الله عنه .

---

[1] صحيح البخاري : ٧٣٣٣ .

[2] رواه البزار في كشف الأستار ج٢/ ٥٨ ، برقم (١١٩٩) وذكر إسناده السيوطي في اللآلي المصنوعة ٩٣/١ ، عن طريق محمد بن إسماعيل بن أبي فديك عن عثمان بن إسحاق عن عبد المجيد بن أبي عبس ، عن أبيه عن جده أبي عبس بن جبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأحد : هذا جبل يحبنا ونحبه ، على باب من أبواب الجنة ، وهذا عير جبل يبغضنا ونبغضه ، على باب من أبواب النار .

الغابة :

وعلى بعد من ظهر جبل أحد غابة مشهورة باسم : الغابة ، تبعد من المدينة المنورة حوالي ثمانية أميال ، وبقيت المنطقة حتى الآن في صورة غابة ، فيها خبار و وحوش من كل نوع ، وقد اشتريت في عهد الصحابة الكرام بثمن باهظ ، ورد ذكره في الحديث النبوي الشريف .

زغابة :

ملتقى عدة أودية في المدينة المنورة على جنوب غرب جبل أحد ، تعرف ساحته بزغابة ، نزل فيها المشركون في غزوة أحد ، ومروراً بهذا الموضع هجمت كتيبة المشركين على المسلمين من خلفهم في قيادة خالد بن الوليد .

وادي العقيق :

معنى " عقيق " لغة : الوادي ، وفي جزيرة العرب أودية عديدة بهذا الاسم ، من أهمها وادي العقيق ، امتد من جنوب غربها إلى شمال شرقها ، وينضم إليه سائر أودية المدينة ، وموضع انضمامه إليه عند جبل أحد ، ويُعرف هذا الموضع بزغابة ، في هذا الموضع نزل المشركون في غزوة أحد .

يمتلئ وادي العقيق بالماء ويتدفق بعد نزول المطر في ضواحي المدينة المنورة ، ويخلو من الماء تماماً مثل الأودية الأخرى بعد مسيل الماء ، لكن بريِّه وسقيه يحمل اخضراراً خاصاً ، ومتعةً للصحة ، وفي الزمن القديم يشيد فيه أهل الثروة من المدينة على جوانب الوادي قصورهم ، فيأتون هنا ، ويتفرجون ويتنزهون ، فكان وادي العقيق في آنذاك مثل حيٍ رائع ، وكان هنا عمران مستقل أيضاً ، وبعض آباره تحمل شهرةً تاريخيةً ، مثل بئر عروة وبئر رومة ، ظلت علاقة سكان المدينة المنورة وأهالي هذا الوادي قوية به ، ورد ذكره في قصص الأدب العربي وأبياته .

ذو الحليفة :

حي على ستة أميال في جنوب المدينة المنورة ، يُعرف أيضاً بأبيار علي، وهو أول منزل كبير للقوافل المهاجرة على جنوب المدينة المنورة ، نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً مراراً ، وأحياناً أقام فيه يوماً كاملاً ، غير أنه ميقات الحج لسكان المدينة ، فيلبسون لباس الإحرام منه .

السيرة العطرة لأمهات المؤمنين
نموذج للمرأة المسلمة المثالية

(الحلقة الأولى)

بقلم : أ . د . محمود حافظ عبد الرب مرزا [1]

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه آجمعين وبعد !

فإنه لمن السهل جداً معرفة أهمية عيش الإنسان وفق التوجيهات القرآنية والتعاليم الإسلامية السمحة من خلال إلقاء نظرة عابرة على المجتمع الراهن الذي تتفشى فيه مختلف ظواهر الفحشاء والمنكر والضلال والفساد ، وذلك في الوقت الذي تعج فيه نداءات مختلفة حول تحرير المرأة المسلمة وتمكينها من حين لآخر . ومما لا شك فيه فإننا نعيش هذه الأيام في مجتمع أصبحت فيه المرأة سلعة استهلاكية رخيصة الثمن ومادة ثمينة للربح المادي ولعبة من ألعاب التسلية والمتعة ، حيث يتم وضع صورها على أغلفة الجرائد والمجلات بأوضاع مثيرة للفتن وألبسة غير محتشمة في أغلب الأحيان . كما أصبحت تتولى مهام ترويج السلع والبضائع كأن قيمتها بحد ذاتها لا تزيد على ذات السلعة بتاتاً ، بل أصبحت وسيلة سهلة لجذب القلوب والأنظار . فأحياناً تتجمل المرأة وتتزين بالمكياج وترتدي أحلى الملابس وأجملها لتعمل كموظفة الاستقبال أو مضيفة جوية فلا تكون إلا طعماً للأشرار ، أو يتم عرض جسدها الفاتن بحجة المشاركة في معارض الأزياء أو مسابقات ملكات جمال العالم أو الكون ، وكل ذلك لا يؤدي إلا إلى إغراء النفوس الضعيفة على التحرش بهن ومضايقتهن أو التلاعب بأعراضهن والاتجار بشرفهن وعفافهن ، والعياذ بالله .

ولا ريب في أننا نعيش في زمان تتعالى فيه الأصوات التي تنادي وتطالب بخروج المرأة من عقر دارها ، وتدّعي بأن المجتمع الراهن أصبح بمثابة طائر لا يمكن له أن يطير إلا بجناحيه ، وتؤكد مراراً وتكراراً

[1] جامعة الله آباد (الهند) .

أنه من غير الممكن إحراز التطور والتقدم في مختلف مجالات الحياة بدون إخراج المرأة التي هي نصف المجتمع من عقر دارها قال تعالى : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [1] .

ومن المستوجب هذه الأيام بالذات أن نعلن ونؤكد مرددين ومهتفين بأعلى أصواتنا أن المنهج الذي اختاره القرآن الكريم لنا هو المنهج الوحيد الذي يضمن النجاح والفوز بالدارين ، وأن تلاوة القرآن الكريم حق تلاوته والتدبر والتعمق في معانيه إلى جانب العمل وفق توجيهاته هو السبيل الوحيد لتخليص هذا المجتمع من كافة الرذائل المتعمقة في جذوره وشفاءه منها .

ولا مراء في أن الله سبحانه وتعالى أنزل آيات قرآنية تكفي بأن تكون دستوراً ونظاماً كاملاً لكل إنسان ناهيك عن القرآن الكريم بجملته فهو هدى للناس . يقول سبحانه وتعالى : ﴿ يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [2] . ومن خلال النظر العميق في هذه الآية الكريمة يتضح لنا بأن الخطاب موجه إلى أمهات المؤمنين ، زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم المطهرات ، وفيها أنهن إذا اتقين واتبعن التعاليم الإسلامية السمحة ، فإنهن سيتفوقن على كافة نساء العالم ، أي أن هذه الفضيلة منحصرة على التقوى فقط . وفيها أيضاً أنه يجب عليهن أثناء التحدث مع رجل أجنبي عدم استخدام الألفاظ الناعمة ليظهر حسنهن ويُفتن الرجال ، ويقع الطمع في النفوس الضعيفة . ومعنى " الخضوع " هنا هو أنه وإبان التحدث مع أي شخص أجنبي يجب على المرأة عدم التحدث بكلمات ناعمة والتي لا تصلح إلا مع المحارم أو الزوج . ويعني أنه وعند مقتضى الضرورة عليها أن تلجأ إلى استخدام الكلمات التي لا تكون فيها أي غنج ولا رخاوة ولا تمييع ، وأن عليها عدم إظهار أي عذوبة في كلامها عمداً على الإطلاق ، مما قد يثير رغبة الرجال فيها . وعليها أثناء التحدث في مكالمة هاتفية أو التواصل عبر الإنترنت أو عند الاستشارة بطبيب عدم اختيار تلك الألفاظ في التحدث بتاتاً . لأنها إذا لجأت إلى ذلك فإن المصير الذي أشار إليه القرآن الكريم سيقع حتماً وسينتج عنه الطمع في قلوب

[1] سورة الكهف ، آية رقم : ٥ .
[2] سورة الأحزاب ، آية رقم : ٣٢ .

الفاسدين . ومعنى الطمع هو انجذاب النفس وميولها إلى الشيء التي تشعر بأنه قريب المأخذ أو تحسبه سهل المنال ، لأن المرأة إذا تغنجت وتحدثت برخاوة ورقة وزينت كلامها ولينته ولجأت إلى اختيار الكلمات العذبة أثناء التحدث ، فإن النفوس المريضة ستمتد إليها وتنجذب تجاهها ويقع في قلوبها طمع التوصل إليها .

ويتبين من هذا أن الله سبحانه وتعالى يهدف من ذلك إلى أنه إذا ما اضطرت المرأة إلى التحدث مع الرجال فإن عليها اتخاذ كافة تدابير الحيطة والحذر . وهذه هي الحكمة البالغة من وراء منع الشارع المرأة من رفع الأذان ، وإذا كانت متواجدة في صلاة الجماعة – رغم أنه من الأفضل لها أن تصلي في بيتها كما جاء في مختلف الأحاديث النبوية – ووقع الإمام في خطأ ما ، فإن عليها أن لا ترفع بصوتها مثل الرجال الذين عليهم أن يقولوا : " سبحان الله " ، بل يكفي لها التصفيق حتى ينتبه الإمام ويستدرك خطأه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا نابكم شيء في صلاتكم فلتسبح الرجال ولتصفق النساء " [1] .

وإذا كانت هذه القاعدة قد وضعها الله سبحانه وتعالى لأمهات المؤمنين فما بالك بالمرأة بشكل عام فهي أولى بذلك . حيث يتبين من خلال هذه الآية الكريمة أن الخطاب موجه إلى أمهات المؤمنين ، إلا أن الهدف من ورائها هو تنفيذ الإصلاحات في بيوت المسلمين بشكل عام . وسبب توجيه الخطاب إلى أمهات المؤمنين هو أنه إذا تم بدء حياة مطهرة من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كافة نساء المسلمين ستقلدهن وتتبعن أثرهن لأن هذا البيت هو البيت الذي يُعتبر قدوة لكل من يرغب في الاقتداء والاهتداء بهدي رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولكن قد يلتبس الأمر على الإنسان من جرّاء هذا النهي ومفهومه ، فقد يعتقد أنه يتطلب من المرأة أن تتحدث مع الرجل الأجنبي بلهجة حادة وقاسية وترد عليه برد قوي وكلمات جافة مع غلظة وشدة ، فقد أوضح الله سبحانه وتعالى أن الأمر ليس كذلك ، بل عليها التحدث بالمعروف ، والقول المعروف يتمثل في عدم التحدث بكلمات قاسية ولا جافة ولا إبداء الغضب أثناء التحدث ، وأن لا تتغنج وترقق كلامها وتلينه أثناء التحدث

[1] أخرجه البخاري ، صحيح البخاري مع الفتح (١٠٧/٣) .

مع الرجال الأجانب ، ولا تتخير الألفاظ التي لا تصلح إلا مع زوجها أو لمحارمها ، بل تتبع الطريقة الوسطى وتبدي كافة الحيطة والحذر وتتحدث بقدر الضرورة فقط والله أعلم .

وعندما علّم الله سبحانه وتعالى طريقة التحدث مع الأجنبي فإنه من الأنسب تعليمها آداب وتعليمات أخرى تدريجياً حيث يقول تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [1] .

وفيما يخص "وقرن" فإن فيها قرائتين ، الأولى ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ وهي قراءة عاصم ونافع والثانية ﴿ وَقِرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ . ويقول بعض أهل العلم أن القرائتين تعني معنى واحداً وأنهما مشتقتان من " القرار " ، إلا أن بعضهم يرى أن هناك فرقاً ولكن لا تعارض بينهما . والقرار ، من قرَّ الماء في الحوض ، أي استقر ، فتكون مستقرة ، باقية غير خرّاجة ولا ولاجة . وبموجب القراءة الثانية فإنها تعنى "الوقار" ، وقرن من الوقار ، والمعنيان متلازمان . ويمكن القول بكل ثقة أن وقار المرأة منحصر على قرارها في بيتها ، وهكذا ، فإنه وفي الوضعين ، فإن مفهوم الآية الكريمة هو أن إطار عمل المرأة هو بيتها ، وبإمكانها العمل بكل سلامة وأمان في دائرتها وعدم الخروج من دارها إلا للضرورة . وإذا كانت المرأة خرّاجة وولاجة أي كثيرة الخروج من عقر دارها ، فإن ذلك سيكون على حساب وقارها الذي يمسح ماء وجهها تدريجياً وبكل طبع .

ومن هذا المنظور ، نستطيع أن نقول : إن المرأة الخرّاجة والولاّجة تكون أكثر جرأة مقابل تلك التي تعكف في دارها ولكن لا يجب أن يتم النظر إلى ذلك بشكل إيجابي ، لأن الأحاديث النبوية تؤكد على أن المرأة التي تعكف في دارها تجاهد في سبيل الله وأن التي تكثر الخروج فإنها تكون على وشك الوقوع في فخ الشياطين والعياذ بالله ، حيث يقول صلى الله عليه وسلم : " إن المرأة كلها عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون بروحة ربها وهي في عقر بيتها " [2] .

---

[1] سورة الأحزاب ، آية رقم : ٣٣ .

[2] صحيح الترمذى : كتاب الرضاع ، باب ما جاء في كراهية الدخول على المغيبات ، رقم : (١١٧٣) .

ولقد كان العرب في قصائدهم يمدحون تلك المرأة التي تعكف في بيتها ولا تخرج منه ولا تراها الشمس أيضاً . والهدف من عرض هذا هنا هو أن الوقار مرتبط بالقرار . وأن وقار المرأة يكون بقدر لزومها المنزل . لأن المرأة التي تخرج كثيراً لقضاء ضرورة ما وترتبط بالعديد من الأجانب وتتفاعل معهم وتزاحمهم فإن حياءها سيزول عنها تدريجياً وسيتناقص وقارها حتى ولو كانت ملتزمة بالحجاب ومحافظة على حشمتها ، إلا من رحم ربي .

وقد منع الله تعالى من التبرج وإظهار الزينة أيضاً . حيث يقال بأن كثرة الخروج من المنزل يدخل في إطار التبرج أيضاً . ومعنى التبرج هو أن تظهر المرأة حسنها ، سواء كان محاسن جسدها أو ملابسها أو طريقة سيرها ومشيها . ويعني التبرج السير وسط الطرقات أيضاً ، حيث يقول صلى الله عليه وسلم : " ليس للنساء وسط الطريق " [1] . ومعنى الجاهلية ، تلك التقاليد القديمة البالية المبنية على الأفكار المنحرفة والهدامة . وفي الإسلام فإن مفهوم الجاهلية يعني الأعمال والأنشطة التي تتعارض مع الثقافة الإسلامية وحضارتها وآدابها وأخلاقها وأفكارها . في حين أن مفهوم الجاهلية الأولى ، هي المنكرات التي كان العالم بأسره منخرط فيها قبل ظهور الإسلام .

ومن المدهش أن المرأة التي تسعى هذه الأيام إلى أن تلتزم بالحجاب وتستر وجهها وتعكف في منزلها ، يتم وصفها بأنها تتبع أفكاراً قديمة وبالية وأنها متخلفة ورجعية وغير متحضرة ، وأنها لا تعيش حاضرها بل أهدرت شبابها وجمالها ، وبدأت تعيش في عالم لا صلة له بهذا العالم المعاصر . ومما لا شك فيه هو أن الله سبحانه وتعالى قد ربط التبرج بالجاهلية ، وبالتالي فإن عدم لبس النقاب هو عمل يدخل في إطار الأعمال الجاهلية ، والتي يجب على كل إنسان تجنبها . وإذا ما وضعنا هذه الحقيقة في عين الاعتبار فإنه يتضح لنا أن المرأة المتخلفة هي التي لا ترى عيباً في الاحتكاك مع غير المحارم ، ولا ترى للحجاب أهمية وتكون متبذلة متبرجة متهتكة أمام الرجال الأجانب . رغم أن الحشمة والعفاف والنقاء والطهر ليس من أمر الجاهلية في شيء . وأن التعري وعدم التحجب

[1] حسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٤٢٥) .

هو عمل من أعمال الشيطان وبدون شك . وهل هناك عمل أسوأ من هذا العمل الذي ربطه الله بالجاهلية مباشرة ؟ ! . بيد أن وضع المرأة في العصر الجاهلي لم يكن أسوأ مما هو عليه الآن في عصر العولمة من ناحية التبرج والتعري على حسب اعتقادي ، لأن المرأة الغربية قد تعدت وتجاوزت كافة الخطوط الحمراء في هذا الأمر . وعليه يتضح لكل شخص أن الحضارة والثقافة التي يسعى المجتمع الراهن أن يدعو إليها أبنائنا وبناتنا بل نقول : إنه استطاع أن يظفر في ذلك تقريباً ، لا صلة لها بالإسلام وفق التوجيهات القرآنية ، وأنها ليست إلا مسمى آخر للجاهلية الأولى .

وهكذا ، وعندما يمنع القرآن الكريم عن شيء لا يمت إلى الإسلام بأي صلة فإنه يصدر عقب ذلك حكماً لشيء يملئ القلوب ويعمرها بطاعة الملك المعبود ويعود على الإنسان بالنفع والفائدة ، حيث يقول تعالى : ﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ ﴾ . فالقضية لا تكمن في أن نمنع الآخرين بأن لا تفعلوا هذا وأن هذا حرام وهذه بدعة وهذا الأمر منكر وما إلى ذلك ، ولكن الهدف هو استمالة القلوب إلى طاعة الله سبحانه وتعالى وملأها بالإيمان ومحبة الله عزوجل .

ولا مراء في أننا إذا طلبنا من المرأة العكوف في بيتها ولزوم عقر دارها هذه الأيام ، فماذا ستفعل في بيتها؟ لأننا نرى أن الفتيات في أيامنا هذه تقضي معظم أوقاتها أمام شاشات التلفاز أو تنغمس في مواقع التواصل الاجتماعية ، أو تتصفح المجلات التي لا طائل منها أو تعبث بهواتف الجوال في أغلب الأحيان .

ومن هذا المنطلق ، نجد أن الله سبحانه وتعالى يهديهن جميعاً إلى الأعمال الصالحة أثناء العكوف في البيت . والواقع ، هو أن الله عزوجل يأمر النساء بلزوم المنزل ، فأين هؤلاء الذين يطالبونها بالعمل سواء في المكاتب أو المحلات أو صالونات التجميل أو الفنادق إلخ؟ . فهم يقولون إن النصف الآخر من المجتمع معطل . ألا يجب علينا أن نفكر قليلاً في حقيقة هذا الأمر لأن الله سبحانه وتعالى هو خالق هذا الكون والعارف بأسراره ورموزه وخالق خلقه ، وهو أقرب إلى عبده من حبل الوريد وما تسقط من ورقة إلا يعلمها هو ، يأمر بالعكوف في المنزل وهم يدّعون بأن النصف الآخر من المجتمع معطل ! فحقيقة عمل المرأة لديهم هي أن تجازف بشرفها وعرضها وتكون أجيرة عند الآخرين . في حين أن المرأة التي تقضي

أوقاتها في عملها الحقيقي المتمثل في رضاعة الطفل وتربيته وتولي شئون المنزل ورعاية الأسرة والعائلة ، وطاعة الله سبحانه وتعالى ورسوله فإنه يطلق عليها بأنها عاطلة عن العمل . وفي هذه اللحظات يتم الاحتيال عليها وخدعها وتحريضها على الخروج من المنزل أسوة بالرجال ، وعندما تتخلى المرأة عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وتخرج من منزلها فإنها بذلك توفر لهم فرصة الظفر بها وإفسادها وزرع بذور المنكرات فيها مما يلقي ذلك أثراً سلبياً على المجتمع .

وفي هذا السياق ، نرى أن بعض البلدان الإسلامية قد استجابت لمثل هذه الدعوات والأصوات منذ وقت طويل ، فخرجت المرأة عن قرارها ومنزلها غير مهتمة بشرفها وعفافها ، وبدأت تعمل في عدد من المهن وتنافس الرجال على الوظائف المختلفة وتزاحمهم في الأسواق ، فهل تحسن وضع تلك الدول ؟ وهل تم وضعها في مصاف الدول المتقدمة ؟ ! لا ليس الأمر كذلك ! بل أظهرت الإحصائيات ما يندي له الجبين حيث أن مستوى الاقتصاد ونسبة الناتج المحلي الإجمالي فيها أقل بكثير من أدنى دولة أوروبية .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وإطاعة الله سبحانه وتعالى أيضاً . هذا لأن الصلاة هي عماد كافة العبادات الجسدية وأن الزكاة هي رأس العبادات المالية . كما أمر بإقامة الصلاة أيضاً لأن إقامة الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي حيث يقول سبحانه وتعالى في موضع آخر : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ [1] . وعندما تبدأ المرأة بالالتزام بأداء الصلوات فإن قيامها في المنزل يصبح سائراً على النهج الصحيح وستقضي أوقاتها في أعمال بعيدة كل البعد عن المنكرات والفواحش ، فلا تنغمس في أعمال لا تليق بها على الإطلاق . وبالتالي فإنها عندما ترفع الهواتف المحمولة فإنها لا تحملها لكي تجري مكالمات لا طائل منها وتسقط بها إلى هاوية الجحيم ، وإذا ما اتصل عليها أجنبي فإنها لا تتحدث معه بكلمات رقيقة أو لينة ولا تستخدم الإنترنت إلا لقضاء حوائجها الضرورية بدون الانغماس في مواقع الحرام ، وتتجنب الكذب والغيبة وخيانة الأهل

[1] سورة العنكبوت ، آية رقم : ٤٥ .

والأسرة وتبتعد كل الابتعاد عن فعل الحرام ، ولا تفعل شيئاً يشينها مما حرمه الله سبحانه وتعالى .

كما أمر الله سبحانه وتعالى بإيتاء الزكاة ، لأن الزكاة تعمل على طهارة النفس وإبداء الشكر لله عزوجل ، فلك الحمد يا مستوجب الحمد دائماً ، على كل حال حمد فان لدائم . وعندما تم إصدار هذين الحكمين فإنه تم إصدار حكم بإطاعة الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم . الأمر الذي يعني أن التزام المرأة بشرفها وعفافها وتمسكها بعقر دارها وإقامتها للصلاة وإيتاءها للزكاة ومداومتها على الحفاظ على التعاليم الإسلامية السمحة ، يدخل كله في دائرة إطاعة الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وبعد هذه التوجيهات السمحة ، تم ذكر العلة والسبب من وراء ذلك . وهو أن الله سبحانه وتعالى يريد أن ينزه أمهات المؤمنين ويطهرهن من كافة السيئات والمنكرات الحسية والمعنوية تطهيراً كاملاً . وإذا ما رغب شخص في معرفة الحصانة التي يتم عن طريقها الحفاظ على المجتمع الإسلامي ، وإذا رغب أيضاً في معرفة السياج الحقيقي المتين الذي يتم بواسطته الحفاظ على المرأة المسلمة والأسرة المسلمة ، فإن كافة هذه المعلومات منحصرة في هذا الأمر ألا وهو أن تلزم المرأة عقر دارها وتطيع الله ورسوله ، وإذا خرجت من دارها فلا تخرج إلا بقدر الضرورة فقط ، وإذا اضطرت المرأة إلى أن تتحدث مع غير المحارم فعليها أن تقتصر على المحادثة الضرورية فقط .

ويجدر بنا هنا أن نقدم نموذجاً لزوجة إبراهيم عليه السلام الطاهرة ، وذلك عندما بشرها الملائكة بالغلام ، فإنها ردّت على ذلك بكلمتين وهما : ﴿ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ [1] . أي ذكرت سببين تحولان دون حملها وهما كبر السن والعقم . ولم تتحدث طويلاً ، وهكذا ، فإن على المرأة المسلمة أن تتحلى بمثل هذه الآداب ولا تتحدث مع غير المحارم أثناء مقتضى الضرورة إلا بالكلام الوجيز ولا تطيل الحديث معهم إطلاقاً .

(للبحث صلة)

[1] سورة الذاريات ، آية رقم : ٢٩ .

جهود ندوة العلماء لإصلاح المنهج الدراسي وتأثيره في الهند وخارجها

(الحلقة الأولى)

الأستاذ عبيد الرحمن الندوي*

إن الهند تشرفت بالإسلام في فجره ، واستأنست بعلومه ومعارفه ، وتعرفت باللغة العربية وآدابها ، فأنشئت لها كتاتيب في المساجد والأحياء ، والمعاهد والمدارس في المدن والأرياف ، وانتشرت هذه المدارس والكتاتيب على مستوى البلاد ، حتى عم فهم الدين الإسلامي القويم ، وقد وفد إليها العلماء والباحثون والمفكرون من بلاد العرب والفرس . وانضموا إلى هيئة التدريس في هذه المعاهد ، يدرسون ويعلمون وينشرون الثقافات المتنوعة المختلفة ، ويعدون أجيالاً ويربونهم ويثقفونهم ثقافة عالية راقية متطورة ، ووضعوا لذلك مناهج تعليمية ومقررات دراسية طبقت في تلك المعاهد ، كانت اللغة العربية والعلوم الإسلامية تدرس طيلة الحكم العربي في السند وما يجاورها من الأقاليم والمدن ، وكذلك في عصر السلاطين المسلمين الذين ورثوا الحكم من الغوريين والخلجيين ، واللوديين ، وآل تغلق، وشير شاه السوري ، فترة من الزمن ، فكانت هذه المناهج الدراسية تقوم بإعداد العلماء والدعاة ، والباحثين ، وتخرج موظفين ، وحكاماً ، ورجال المناصب في الدولة ، وتفي بحاجة الدولة والشعب وعامة الناس .

ولما قامت الدولة المغولية وتوثقت دعائمها ، نالت اللغة الفارسية وعلومها نصيبًا وافرًا بجنب اللغة العربية وعلومها في المناهج الدراسية ، وأصابها التطوير طبقاً لحاجات الزمن ومطالب الحكم المغولي ، وأخيراً وضع عالم جليل وباحث خبير ، هو الشيخ العلامة نظام الدين منهجاً دراسياً أعدت في ضوئه مقررات للمدارس والمعاهد ، وعُبر عنها بالدرس النظامي ، الدرس النظامي الذي طُبق ونُفذ في الهند كلها ، ولا يزال إلى

* أستاذ بدار العلوم لندوة العلماء لكناؤ (الهند) .

حد كبير سائداً في المدارس الدينية الأهلية ، وقد أصيبت الهند بعد احتلال الاستعمار الإنكليزي لها في عام ١٨٥٧م بتطوير كبير في المناهج التعليمية ، وتوزعت وتشتتت إلى منهجين متعاكسين متغايرين هما : " المنهج الغربي العصري العلماني " الذي وسيلة التدريس فيه اللغة الإنجليزية عامة ، و (المنهج القديم الديني) ويكون التدريس فيه باللغة الأردية طبقًا لمقررات الدرس النظامي ، كانت تمثل المنهج الأول جامعة علي جراه الإسلامية ، والثاني جامعة دار العلوم ديوبند ، وكان مؤسس أولاهما السر سيد أحمد خان و زملاؤه ، ومؤسس أخراهما الشيخ محمد قاسم النانوتوي و زملاؤه ، وظلت هاتان الجامعتان تنجبان المثقفين وتربيان الأجيال حسب مناهجهما ، إلى أن تنبه وشعر بعض العلماء النوابغ والمفكرين العباقرة بحاجة ملحة إلى التطوير في المنهج الدراسي والتغيير والتعديل في المقررات والمواد الدراسية ، وتدريس اللغة العربية كلغة حية ، فدعوا المهتمين بالعلم والثقافة والدين إلى استعراض شامل للمنهج المقرر ، بجنب الدعوة العامة إلى لم شمل المسلمين، وبث روح الوفاق والوئام بينهم ، وجمعهم على كلمة واحدة ، كان من أبرز هؤلاء العلماء الشيخ محمد علي المونجيري والعلامة شبلي النعماني والعلامة عبد الحي الحسني وزملاؤهم ، وأسسوا " ندوة العلماء " في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، ثم أنشأوا دار العلوم لندوة العلماء في بداية القرن العشرين الميلادي ، نموذجًا مثاليًا لمبادئهم المنهجية ومقرراتهم الدراسية، وحاولوا أن تكون اللغة العربية وسيلة مهمة للتدريس ([1]) .

بدأت جهود ندوة العلماء لإصلاح المنهج الدراسي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، حين أخذ المسلمون في الهند يتدهورون في شتى مجالات الحياة لأسباب مختلفة ، ومن بين هذه المجالات النظام التعليمي ، كان العلماء متمسكين بالمنهج القديم ، ولم يكونوا راضين عن التعديل بأي حال من الأحوال ولو كان بكلمة أو بلفظ .

ومن ناحية أخرى أنهم كانوا على نزاع دائم بخلافاتهم الفقهية الفرعية التي لا تعود بأي فائدة إلى المجتمع الإسلامي .

وطائفة قد آمنت بالعلوم الغربية بالغيب ، وآمنت بعصمة الغربيين في

[1] - حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج ، ص : ١٩-٢١ .

علومهم وبسيادتهم وإمامتهم في كل شيء ، ودعت إلى قبول نظامهم في التعليم على علاتهم .

ومما لا مجال فيه للشك أن هذه الفجوة الواسعة التي حدثت بين العلماء والطبقة المعاصرة كانت نتيجة فقدان منهج عادل شامل بين الفكرتين الإسلامية والغربية ، كما صرح مؤسس ندوة العلماء الشيخ المونغيري ما يفيد : " قد تغيرت الظروف والأحوال في هذا العصر، وإن الاعتراضات التي شغلت العقول وحلقات الدرس قديمًا قد فقدت أهميتها وقيمتها ، وانقرضت الفرق التي كانت تثيرها وتتشبث بها ، وأصبح العكوف على دراستها وتفهمها إضاعة للوقت وجهاداً في غير عدو ، ذاك لأن العالم قد استحال إلى كون جديد تجددت حاجاته ، وقد أثار أعداء الإسلام وخصومه أسئلة جديدة في هذا العصر لم تكن تخطر على بال، وذلك في ضوء الفلسفة الجديدة ، ولا يمكن إشباع الرد والإقناع العلمي بالاعتماد على الفلسفة القديمة فقط، وإن زعم زاعم ، والسبب في ذلك أن الإنسان لا يستطيع أن يحل الشبهة ويفحم الخصم إلا إذا عرف ما يؤول إليه الاعتراضات وعرف الدوافع " ([1]) .

كما هاجم العلامة شبلي النعماني على المنهج القديم والعلوم العقلية الرائجة آنذاك هجمة شرسة ، وأوصى بالتعديلات اللازمة حسب متطلبات العصر ، فهو يقول ما يفيد : " إن هذه العلوم اليونانية ليست علومنا الدينية ولا يتوقف عليها فهم ديننا ومعرفته ، إن الإمام الغزالي في عصره قد ضم هذه المواد الدارسية إلى مناهج التعليم في عصره لكي يطلع العلماء على الأساليب الجدلية اليونانية التي نشطت في نشرها الفرقة الباطنية في ذلك العصر ويقاوموا بذلك حركة الإلحاد المتفشي في ذلك العصر ، ولكن لا وجود لأولئك الملاحدة ولا لتلك العلوم اليونانية ولا يعتقد صدقها وصحتها المتنورون ، ولا من يدعي الفطنة ، لذلك فقدت تأثيرها ولا خطر على الإسلام اليوم منها ، وقد احتلت مكانها علوم حديثة وقضايا جديدة ودراسات وأبحاث جديدة ، وقد أصبح من الضروري أن يطلع علماؤنا على الأبحاث الجديدة والعلوم العصرية المفيدة ليقدموا حلولاً للمعضلات الحديثة وليردوا على الشبهات ردًا علميًا إقناعيًا مؤسسًا على الدراسة

[1] - مكاتيب محمدية ، مجموع رسائل الشيخ محمدعلي المونغيري .

والتحقيق ([1]) .

إن هذا النظام التعليمي الذي اتخذه الشيخ نظام الدين السهالوي (م١١٦١هـ) بعد الإضافات والتعديلات الضرورية في عصره ، ونال رواجًا عامًا في المدارس العربية الهندية، وخضعت له المعاهد ، ومراكز التعليم ، وتمسكت به باسم : " المنهج الدراسي النظامي " تمسكًا قويًا ، لا تتجاسر على التعديل فيه ، ولا تقبل العدول عنه ، وكان جل اعتماد هذا النظام الدراسي على كتب المنطق والفلسفة القديمة البالية التي قلما تفيد المجتمع الحاضر، وعلى الكلام والفقه وأصول الفقه ، وكان نصيب التفسير والحديث ضئيلاً بالنسبة إلى المقررات في العلوم العقلية ، ولم يهتم هذا النظام بتنشئة اللغة العربية وتطوير آدابها ، وكانت علوم العربية والصرف والنحو تدرس كعلوم نظرية ، تكثر فيها القياسات ، وتعرض في أسلوب منطقي بحت ، لا ينشيء في القارئ ذوق اللغة ، ولا ملكة البيان حتى قامت ندوة العلماء بثورة تعليمية ، ورفعت شعار القديم النافع ، والجديد الصالح بقوة وإصرار ، وطبقت في جامعتها نظامًا جديداً ونهجًا جديداً ([2]) .

" ومن ميزات دار العلوم هذه إدراج الكتب الحديثة واللغات الأجنبية في مقرراتها إلى جانب المنهج القديم من العلوم الإسلامية والآداب العربية ، فأجاد المتخرجون في هذه الدار التحدث باللغة العربية وآدابها ، حتى إنهم بعض الأحيان فاقوا أقرانهم المتخرجين في المدارس الدينية الأخرى ، وهكذا نال المنهج الدارسي الذي اتخذته ندوة العلماء قبولاً واسعًا ، فتبعته معاهد عديدة أخرى في مختلف أنحاء البلاد " ([3]) .

فاتبعت ندوة العلماء المنهج الجديد بكل إخلاص ، وأنقذت الأدب العربي من ذلك الحصار الضيق التي كان محبوسًا فيه بين المقامات الحريرية ونفحة اليمن والعرب وديوان المتنبي ، كما استدعى أعضاء ندوة

---

[1] - حياة شبلي ، ص : ٦٠ ، للعلامة السيد سليمان الندوي .

[2] - البعث الإسلامي ج/٢٨،ع/١٠، رجب ١٤٠٤هـ للأستاذ سلمان الندوي ، وأيضاً Islamic Learning in India, by Z.A.Desai, p.١٤

[3] - Islamic Learning in India, by Z.A.Desai, p.١٤ وأيضًا ثقافة الهند أكتوبر ١٩٦٦م للأستاذ محي الدين الألوائي ، ص : ٢٤ .

العلماء أدباء بارعين من أهل العرب من أمثال الدكتور محمد تقي الدين الهلالي المراكشي ، ومحمد حسين الخزرجي اليماني ، وطيب المكي ومحمد العربي الهلالي ، وذلك لتطوير مستوى اللغة العربية في الهند ، فأعد هؤلاء الأدباء بمساعدة هيئة التدريس لندوة العلماء جيلاً من تلاميذ بارعين نالوا مكانة مرموقة بين أدباء العرب في سلامة اللهجة ، وجمال التعبير ، ورصانة البيان ، ونضوج الأسلوب ، وخرج الأدب العربي في الهند من أساليب السجع والقوافي والصناعة إلى أسلوب طبيعي أصيل ، ودخل في جميع أصناف العلم والفن ، وانطلق منه اتجاه جديد ، وهبت رياح الأدب العربي في الهند كلها ([1]) .

إن ندوة العلماء و دار العلوم التابعة لها قد لعبت دورًا هامًا في ترويج ونشر اللغة العربية وآدابها في الهند من خلال الكتابة والخطابة والصحافة والإنشاء ، وشغفت بهذه اللغة أكثر من اللغات ، " بل وأكثر من اللغة الأم ، وعاشت لها وبها وفيها ، وتنقلت في جوها ، وقاتلت دونها ، وحافظت على عرضها ، وشرفها في هذه البلاد الواسعة التي زخرت باللغات والآداب والثقافات ، فأصبحت واحة عربية خضراء في صحراء قاحلة جرداء ، وحملت رايتها ، وثبتت قضيتها منذ عهد بعيد ، حيث لم تكن لهذه اللغة الكريمة كثير أنصار وأعوان ، ولم يكن لها هذا النفوذ والسلطان الذي نجده الآن " ([2]) .

ومن المعاهد العربية الإسلامية الأخرى التي تم تأسيسها في الهند الجديدة ، والتي اعتنت بإجراء التعديلات والإصلاحات في المقررات الدراسية التقليدية " مدرسة الإصلاح " في مديرية أعظم جراه ، و" الجامعة الإسلامية السلفية " بمدينة بنارس ، وتعتبر هاتان المدرستان من أهم المدارس العربية في الهند بعد ندوة العلماء ، فبذلت كلتاهما جهوداً جبارة في تحرير المسلمين الهنود من المقررات الدراسية العقيمة التي كانت رائجة

[1] - البعث الإسلامي للأستاذ سعيد الأعظمي الندوي ، جمادى الأولى ١٣٩٩هـ ص : ٦٩ـ٧٢ ، وأيضًا البعث الإسلامي : ج/٣٣ ، ع/٤ ذو الحجة ١٤٠٨هـ للأستاذ وصي مظهر الندوي ، ص : ٨٠ .

[2] - البعث الإسلامي : ع/٥ـ٧ ، ١٣٩٦هـ ، للأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي ، ص : ٢٩٣ .

في البلاد ، ومن الخلافات الفقهية التافهة التي كانت شغلاً شاغلاً للطبقة المحافظة التقليدية ، وقاوم خريجو هاتين المدرستين الآثار السلبية للاستعمار الإنجليزي ، والإرساليات التبشيرية التي كانت تعمل ليل نهار ضد المسلمين والثقافة الإسلامية ، ومن جانب آخر ركز أصحاب هاتين المدرستين عنايتهما على تعليم اللغة العربية وتعميم الأدب العربي ، وقد حظي القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف وعلومهما في هاتين المدرستين بمكانة الصدارة ، وللمعلم حميد الدين الفراهي في هذا الشأن فضل كبير ودور ريادي ، لأنه قد ترك بآثاره الرائعة بصمات عميقة على أفكار العلماء الذين يهتمون بالأدب العربي ، وبفنون البلاغة والفصاحة والنقد ، أما الجامعة السلفية فلها دور أكبر في تعميم التعاليم الإسلامية السمحة ، وإقلاع البدع والخرافات والتقاليد العمياء التي كانت فاشية في الهند ، وسلكت هذه الجامعة جميع السبل والمسالك في تطوير الأدب العربي خطابةً وكتابةً ودراسةً منذ تأسيسها في سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م ، فأصبحت من أهم المدارس العربية الإسلامية والجامعات العصرية في الهند بعد دار العلوم لندوة العلماء ، ولقيت خدماتها الجليلة في مجال الأدب العربي قبولاً واسعًا في الأوساط العلمية والأدبية والدينية في الهند وخارجها ([1]) .

فلما شعر أصحاب فكرة ندوة العلماء أن منهاج الدرس القديم لا بد فيه من الإصلاح والتجديد ورفع صوتهم في إصلاح المنهج وتوسيعه وتطويره وقد كان الصوت غريبًا في المدارس العربية بالهند التي ظلت متمسكة بالمناهج القديمة . فواجهوا المعارضة الشديدة من قبل الطائفتين المذكورتين أعلاه ، ولكنهم كانوا قائمين مثل الصخر على هذا السبيل وقاموا بإجراء تعديلات وإصلاحات في المنهج الدراسي القديم وأعدوا منهجًا جامعاً شاملاً للعلوم العصرية اللازمة ، لكي يكون دارس هذا المنهج مطلعًا على مقتضيات العصر كما حذفت من المنهج الدراسي القديم المقدار الزائد من كتب المنطق والفلسفة اليونانية .

يقول الدكتور عبد الحليم الندوي :

---

[1] - البعث الإسلامي : ع/٥-٧ ، ١٣٩٦هـ ، للأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي ، ص : ٢٩٣ .

" كانت أول خطوة قامت بها ندوة العلماء هي التعريف بأهدافها وبرامجها الخاصة بإصلاح التعليم ، ونشر بعض التعديلات الضرورية التي رأت من الواجب إدخاله على المنهج الدراسي المتبع آنذاك، وبعد ما لاحظ علماء الندوة أن الجو قد تهيأ لهم وأن الأمة وجميع الأوساط التعليمية والفكرية في البلاد قد رحبت بهذه الفكرة ، أسسوا معهداً خاصاً في سنة ١٣١٠هـ بمدينة لكناؤ عاصمة أترابراديش تحت اسم " دارالعلوم التابعة لندوة العلماء .

وكانت أولى الخطوات التي اتخذت بعد تأسيس هذا المعهد مباشرة، هي إدخال التعديلات والإصلاحات على المنهج الدراسي القديم، فحذفت منه بعض المواد الغير الضرورية ، كما أضيفت إليه من جانب آخر بعض العلوم العصرية الضرورية ، مثل الاقتصاد والسياسية والتاريخ والجغرافية والحساب بالإضافة إلى تدريس اللغة الإنجليزية ، وانتشرت دعوة ندوة العلماء هذه في سائر أنحاء البلاد بفضل الجهود الجبارة التي بذلها المغفور له العلامة شبلي النعماني ، فاجتمع تحت لوائها عدد كبير من العلماء ، إما بعضويتهم في المجلس التعليمي أو التنفيذي للدار ، أو بالانضمام إلى هيئة التدريس .

هذا ، ومن مميزات دار العلوم لندوة العلماء أنها أسست كمعهد وسط بين الجامعات العصرية والمعاهد الدينية الأخرى ، إذ أن القائمين بأمر إدارة هذه الدار كانوا يرون أن أصول الدين الحنيف شيء لا يقبل التغير والتبدل ، في حين أن العلوم الأخرى شيء يتغير مع تغير الزمن ، ولذا أصبح من الضروري تعديل المناهج المدرسية حسب متطلبات العصر ، ولذلك قامت الدار بتركيز كل اهتمامها على تدريس القرآن الكريم على اعتبار أنه أساس متين أبديٌ لحياة إسلامية لن يتغير أبد الدهر ، والينبوغ الذي تتفرع عنه الأصول لإقامة مجتمع إسلامي على النحو الذي أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ودعا إليه " .[1]

(للبحث صلة)

صور وأوضاع

هل تتحول أمريكا دولة استعمارية ؟!

الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي

كان النظام الديمقراطي والجمهوري حلاً وبديلاً لنظام الحكم الفردي المستبد ، وقد كان ذلك نتيجة التعليم ومعرفة المتعلمين حقوقهم ، فقوبل هذا النظام ، وشاع في مختلف أنحاء العالم ، وخاصة في أوربا بعد ثورة فرنسا التي كانت قد انتشرت في مختلف دول العالم ، وظهرت إثر ذلك عدة نظم في العالم ، وعمَّ اشتراك ممثلي الشعب في نظام الحكم ، ثم وقَّعت دول العالم المختلفة على ميثاق حقوق الإنسان ، الذي يقوم على أساس عدم التمييز بين الناس على أساس العقيدة والدين والثقافة واللغة .

وفي سائر دساتير النظام الديمقراطي كان بند خاص لرعاية الأقليات ، وتأمين حقوقها وتمثيلها في نظام الحكم ، وبقيام هذا النظام اتخذت وسيلة الانتخابات ، واختارت مختلف دول العالم طرقاً للانتخابات تختلف باختلاف طبيعة البلاد ، وأصبح هذا النظام شائعاً سوى البلدان التي لا تزال تتبع نظام الملكية .

وقد اختار بعض قادة العالم طريقاً لتجنب مسئوليتهم ومؤاخذة شعوبهم ، وذلك لفرض شخصيتهم وإخضاع أعوانهم المنتخبين لأوامرهم ، وبتحوُّل ذلك النظام نظاماً ديمقراطياً واستبدادياً معاً؛ جمهورياً لأن الجمهور انتخبهم ، واستبدادياً لسيطرتهم على أعوانهم وعليهم ، أصبح هذا النظام جمهورياً وديكتاتورياً معاً .

وقد جرب هذا النظام في الشرق الأوسط حيث تولى الحكم القادة بانتخابات عامة ، ثم فرضوا أنفسهم بانتخابات مزورة ، كما وقع في مصر وسوريا والعراق ، ودول أخرى حيث بقي في الحكم القادة المعروفون أكثر من ثلاثين سنة ، إلى أن قامت ثورات عرفت بـ " الربيع العربي " وذهب ضحية هذه الثورات ملايين من سكان هذه المنطقة .

كان هذا النظام المزدوج شائعاً في الشرق الأوسط خاصة ، ولكن أوربا بكاملها احتفظت بالنظام الديمقراطي ، وكانت الأقليات فيها تتمتع بحقوقها ، وكانت الحريات العقدية في هذه القارة متوفرة بدون تمييز كفرنسا ، وبريطانيا وألمانيا ، وسويسرا ، فكان الذين يواجهون قيوداً في بلدانهم يجدون لجوءاً سياسياً في هذه البلدان .

وأوسع هذه البلدان عملياً كانت أمريكا التي كان شعارها إيواء المطرودين والمنكوبين ، ولذلك يتوجه إلى أمريكا سكان مختلف الدول ، وفيهم المسلمون الذين وجدوا في هذا البلد حرية كاليهود الذين استوطنوها ، وكانوا لا يجدون صعوبة في الحصول على حقوق الجنسية ، فازداد عددهم حتى بلغ أكثر من سبعة ملايين ، وكان المسلمون يتمتعون بسائر أنواع الحرية ، فأصبحت بذلك أمريكا مأوى للنازحين من بلدانهم التي كان فيها نظام استبدادي ، وكذلك كانت فرص التعليم والوظيفة متاحة لكل قادم ، ولم يكن أحد يواجه صعوبةً في الوصول إليها .

فأصبحت أمريكا موطناً لمختلف الجنسيات والقوميات من آسيا وأفريقيا ، وقد قالت الشاعرة الأمريكية " إيما لازا روس " :

" أعطوني المرهقين منكم ، والبؤساء ، وجميع الأكداس البشرية التي تهفو إلى نسيم الحرية .

أولئك التعساء الذين رمتهم شواطئكم الصاخبة .

أرسلوا إلي هؤلاء الذين لا مأوى لهم .

الذين طوحت بهم العاصفة .

فإنني أرفع لهم شعلتي عند الباب الذهبي " .

ولم تكن أمريكا دولة استعمارية في أي وقت من الأوقات ، كما كانت فرنسا وبريطانيا وهولندا وإيطاليا والبرتغال ، ولكن هذه الطبيعة طبيعة التسامح والحرية والإغاثة التي كانت شعار أمريكا ، تغيرت بعد انفكاك النظام الشيوعي في روسيا ، وتولت أمريكا قيادة العالم ، فقد كانت الدول الاستمارية السابقة ضعفت واستكانت بعد خروجها من مستعمراتها ، وقد غلب على حكام أمريكا الحرصُ على سيادة العالم ،

فاتخذت أمريكا في العهد الأخير اتجاهاً استعمارياً ، وقامت بالتدخل في الشئون الداخلية في مختلف أنحاء العالم بإرسال جيشها وفرضت سيطرتها ، وكان ذلك تحولاً كبيراً في السياسة الأخيرة .

وفي الانتخابات الأخيرة وقع تحول آخر في السياسة الداخلية لأمريكا ، وهو فرض قيود على سكانها والنازحين إليها ، فأحدثت هذه السياسة اضطراباً في داخل البلاد وخارجها .

وقد أفادت الأنباء الأخيرة أن احتجاجات واسعة تجري في أمريكا ضد سياسة الرئيس الجديد الأمريكي دونالد ترامب ، ويواجه الرئيس الأمريكي الجديد معارضةً شديدةً ؛ ليس من المسلمين فحسب ، بل من غير المسلمين الذين تعودوا على سياسة التسامح في أمريكا مع مختلف الأديان .

وأفادت الأنباء أن المعارضة لقرارات الرئيس الأمريكي دونالد ترمب في مجال الهجرة ، إلى قلب أجهزة الدولة ، فيما يشبه حالة تمرد ، فقد أقال الرئيس ترمب المدعية العامة (وزيرة العدل) بالإنابة " سالي بيتس " لرفضها الدفاع أمام المحاكم عن القرار التنفيذي الذي أصدره ، والقاضي بفرض قيود على المسافرين من ٧ دول إسيلامية ، وعين مكانها المدعية العامة لمقاطعة شرق فرجينيا " دانا بينتي " إلى أن يبتّ مجلس الشيوخ في تعيين السيناتور " جيف سيشنز " وزيراً للعدل ،كما أقال ترمب المسئول بالوكالة عن إدارة الهجرة والجمارك " دانيال راغسديل " وعين مكانه " تومان هومان " وقال وزير الأمن الداخلي " جون كيلي " في بيان لم يذكر سبب الإقالة : إن هومان سيعمل على تطبيق قوانيننا حول الهجرة على أراضي الولايات المتحدة بما يتفق والمصلحة الوطنية .

وفي خطوة أخرى قررت ولاية " ماساتشوستس " الانضمام إلى ولاية واشنطن في مسعاها لرفع دعوى قضائية تطعن في القرار الذي أصدره ترمب حول الهجرة .

وفي ردّ جريء على خطة الرئيس الأميركي دونالد ترمب بوقف تدفق اللاجئين من عدد من البلدان العربية ، وإيقاف العمل ببرنامج استقبال اللاجئين السوريين تحديداً لمدة ١٢٠ يوماً ، أعلنت مادلين

أولبرايت وزيرة الخارجية السابقة في عهد بيل كلينتون بتغريدة على تويتر أنها مستعدة لأن تسجل نفسها على أنها مسلمة .

وقالت أولبرايت المنتمية للحزب الديمقراطي في تغريدة لها : " تربيت تربية كاثوليكية ، وبعدها أصبحت " أنتمي للكنيسة الأسقفية ، وفي وقت لاحق اكتشفت أن عائلتي ذات جذور يهودية ، وها أنا اليوم مستعدة لأن أسجل نفسي كمسلمة تضامناً " مع اللاجئين .

وقالت رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماي مساء الخميس (٢٦ يناير/ كانون الثاني ٢٠١٧) : إن الولايات المتحدة التي تكون قوية ومزدهرة داخلياً هي أمة يمكن أن تقود خارجياً إلا أنها لا يمكن ، وينبغي ألا تفعل ذلك وحدها ، وهذا لا يعني أيضاً العودة إلى سياسات الماضي الفاشلة ،كما حذرت تيريزا أن أيام التدخل في الدول ذات السيادة في محاولة لإعادة تشكيل العالم على صورتنا قد ولت ، ولكن في نفس الوقت لا يمكن أن نقف مكتوفي الأيدي عندما يكون التهديد حقيقياً وعندما يكون من مصلحتنا أن نتدخل .

جاءت تصريحات ماي أثناء اجتماع مع أعضاء الكونجرس الجمهوريين في فيلادلفيا قبيل أول اجتماع لها مع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب .

وقد أدت هذه السياسة وبيانات الرئيس الأمريكي الجديد إلى حوادث العنف في مختلف البلدان ضد المسلمين ، كما وقعت حادثة الهجوم على مسجد في كندا ، ذهب ضحيته عدد من المسلمين .

وفي أمريكا يوجد عنصر متشدد يمارس الإرهاب ضد المسلمين ، رغم أن هناك تقارير بأن الأغلبية في البلاد من المسحيين واليهود تبدي العطف على المسلمين ، وتعارض هذه السياسة .

إن هذا الموقف للرئيس الجديد يتعارض مع طبيعة الحياة في أمريكا وتاريخها الطويل ، ويؤدي إلى انعزال أمريكا عن العالم .

● ● ●

مدينة حلب لها الله وحده !

بقلم : البروفيسور اشتياق أحمد الظلي*
تعريب : محمد فرمان الندوي

حلب أنموذج فريد في العالم ، ومدينة تاريخية تحولت إلى رماد . فلم يكن هناك من رثاء ، ولا أحد يكتب تاريخها كمدينة مظلومة مضطهدة ، قبل عدة أيام من كتابة هذه الكلمات قد تمَّ عمل التصفية منها ، وقد شرد سكانها ، فاضطر الآخرون إلى أن يعيشوا عيش النفي والجلاء ، ولعل هؤلاء لا تتوافر لهم فرصة زيارة وطنهم فيما بعد .

حلب ليست مدينة عامة ، بل كانت واسطة العقد بين المدن الأخرى ، ومن أقدم مدن العالم ، وعمرت منذ ستة آلاف عام ق م ، فتحها سيدنا أبو عبيدة الجراح رضي الله عنه عام ٦٣٧م بعد معركة اليرموك الحاسمة ، فتعتبر منذ ذلك الوقت في أهم مدن العالم الإسلامي ، وقد سمته منظمة اليونسكو بالتراث العالمي ، واختيرت عام ٢٠٠٦م عاصمة الثقافة الإسلامية ، ولا شك أنها أكبر مدن سوريا ، و أهم مراكزها التجرية ، لأنها تقع على طريق رئيس، لتجارة الحرير (Silk Road)وقد فقدت هذه المكانة بعد حفر نهر السويس ، لكن بقيت أهميتها ، وقد تحولت هذه المدينة التاريخية إلى أطلال مهجورة ، وصارت قلعتها الجميلة ، وجامعها الأموي الفخم ، وسوقها المسقف الشهير الذي لا يوجد له نظير وإنجازات ماضيها المشرق قصة تُروى وتُحكى ، ولا تُذكر إلا في أسفار التاريخ ، وقد رأى سكانها مناظر مروعة تقشعر منها الجلود ، وتتخلع منها القلوب ، وقد ذهب ضحيتها عدد كبير ضخم من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال ، وبتعبير سكرتير هيئة الأمم المتحدة بان كي مون : صارت حلب مثالاً لجهنم ، فلم يتقدم أحد لسد تيار هذا الظلم ، ففي كل مكان ضعف واستكانة وخذلان ، لم يروع أحداً من العرب والعجم ، ولم ينبس بلد ببنت شفة على هذه المجزرة الأليمة ، فلو لم تتقدم تركيا لكانت عاقبة بقية العمران ما لم يكن بالحسبان ، فلم يُعقد مؤتمر للجامعة العربية ولا قامت منظمة التعاون الإسلامي ضد هذا الظلم والطغيان ، والمسلمون في الهند أيضاً صامتون في هذه القضية ، التي طالما سجلوا تاريخاً مشرقاً في مثل هذه القضايا الهائلة ، وبالعكس من ذلك فقد أطفئت أضواء كهربائية لبرج إيفل ، وقامت مسيرات واسعة في

* مدير دار المصنفين أكاديمية شبلي النعماني ، أعظم جراه – الهند .

باريس ، ولندن وأوسلو وإيمبستردم ، وكوفن هيغ ، وتظاهر سكان سيراجيو على أوسع نطاق ، لكن العالم الإسلامي قد خيم عليه السكوت ، الذي حيّر العقول ، وكل ذلك في شهر ربيع الأول الذي بعث فيه رسولنا العظيم محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين – فإليه نشكو بلسان الشاعر الهندي ألطاف حسين حالي :

خاتم الأنبياء والرسل ! ما أحوجنا إلى دعائك ، لقد أصيبت الأمة بفواجع ومصائب لا تزول إلا بدعائك .

****

لما تربع حافظ الأسد على سرير سوريا ، وتأسست حكومة العلويين تحت راية حزب البعث ، ذاقت البلاد ولا تزال تذوق مرارة الظلم والطغيان ، والجبر والقهر ، وتعرضت الحركات الشعبية والمؤسسات الدينية للمقاومة الشديدة والكبت الجائر ، وما واجه الإخوة المسلمون من سلوك غاشم ورد فعل ثائر تشهد بذلك مجزرة حماة ، أما ما حدث في إمارة رفعة الأسد أخي حافظ الأسد عام ١٩٨٢م ، فالقلم يعجز عن تصوير ذلك المشهد المخزي ، دمرت هذه المدينة في أيامه تدميراً ، وقتل فيها حوالي أربعين ألف رجل ، وبعد وفاة حافظ الأسد عام ٢٠٠٠م لم يكن خليفة لأبيه ، بل كان وارثاً له في الظلم والوحشية أيضاً ، فلما بدأ الربيع العربي ، قامت حركات لاستعادة الجمهورية ، فأميتت هذه الحركات في عقر دارها وديست دوس كالأعصاف المأكولة ، ولم تكن مهمة تغيير الحكومة إلا رد فعل لهذا الظلم ، فانتشرت كالحريق في طول البلاد وعرضها ، وجاءت فترة من الزمن شعر الجميع بأن حكومة بشار تنهار في عدة أيام ، لكن حدث حادثان أثناء ذلك ، سبّبا تغيير الأوضاع الراهنة ، وحولا وجهة البلاد من جانب إلى جانب آخر ، فانقسمت قوى معاكسة للحكومة إلى عدة كتل ، نشأ منها متطرفون ، فلم تبق للقيادة وحدة مطلوبة تكون أول ركيزة للنجاح ، وفي جانب آخر أتت إيران في تقوية بشار بخيلها ورجلها ، وكثفت جهودها في تنظيم حزب الله ، وتربية المليشيات الشيعية ومساعدتها ونصرة حكومة بشار الأسد ، ولا تواجه جبهة المعارضة الآن فقط القوات الشامية ، بل تواجه الاتحاد العسكري الكبير ، فتفاقمت مشكلاتها ، وحينما تدخلت روسيا بقواتها الجوية في سوريا ، وقعت الكرة في حلبة حكومة سوريا ، وخاصة في هذا العصر ، لأن أمريكا صارت صامتة في هذه الرحلة النهائية ، فكان المجال مفتوحاً لروسيا ، فلم توفر للمعارضة أسلحة تواصل حربها مع بشار ، وكانت جبهة المعارضة تحتاج إلى صاروخ مركبة جوية ، فلم يكن لها سبيل إلا أن تضع الحرب أوزارها .

****

بدأت محاولات معادية للحكومة في حلب بشيئ من التأخير ، بالنسبة إلى مناطق أخرى فيها ، ثم آل الأمر إلى أن هذه المدينة انقمست في جزئين ، ظلت حلب الغربية تحت سيطرة الحكومة ، لكن فتحت جبهة المعارضة حلب الشرقية ، ثم صارت هذه المنطقة موضع نزاع وخصام شئياً فشيئاً بين القوى العالمية ، وقد خاض كل من أمريكا وأوربا والمملكة العربية السعودية وتركيا وإيران وقطر بمستويات مختلفة في هذا الصراع المستمر ، فصارت هذه المنطقة مركز صراعات ونزاعات بين القوى العالمية ، وأخيراً كان دمار حلب وخرابها ، لكن ليس معنى انهزامية حلب أن الحرب قد توقفت ، وإن كان في ذلك بعض جوانب إيجابية لبشار الأسد ، لكن ظل أكثر من ثلث هذه المدينة أيضاً عند جبهة المعارضة ، ولا يعلم ماذا يكون في المستقبل ؟ إلا أن القوة العسكرية ليست هي الحل الوحيد لها ، فلا بد أن يجلس كل جبهة على الطاولة المستديرة ، للمفاوضات السلمية ، ومازال موقف تركيا رئيسياً في إيواء سكان حلب المحصورين ، فقد غيرت كثيراً من استراتيجيتها نحو بلاد سوريا ، واختارت موقفاً ليناً مع بشار لإنجاح هذا المشروع ، فإن خطة العمل التي أعدت بين تركيا وروسيا ، وما يجري الآن من مساع مع إيران وروسيا لحل هذه القضية ، يدل كل ذلك على أن تركيا تعترف إلى حد بحكومة بشار الأسد ، وإن كانت الأوضاع المتأزمة في سوريا تقع تبعتها على روسيا ، لكن تركيا – رغماً من إدراك خطورتها – لا تواصل سلسلة الحوارات مع روسيا فقط ، بل تقوم بتوطيد العلاقات معها من جديد والوصول إلى غاية عظيمة ، ومما يثير العجب أن الحوارات التي جرت لم يأت فيها شيئ عن حزب الله والمليشيات الشيعية المختلفة التي تنشط بدعم إيران ضد حز ب المعارضة – ولا أن يتخلى حزب الله عن سوريا ويخرج منها ، والجانب السلبي للحوار الذي يجري بين تركيا وإيران وروسيا لحل هذه القضية أن أمريكا وأوربا ليس لهما أي نصيب في هذه القضية – وبغض النظر عن السلبيات التي صدرت من أمريكا يكون حل هذه القضية بدون أمريكا عبثاً لا يعود بطائل ، ومما يتفاقم الأمر خطورة أن الأوضاع الحالية يستغلها المتطرفون لتحقيق مآربهم – خيب الله سعيهم – .

(مترجم من مجلة معارف الشهرية باللغة الأردية – ربيع الثاني ١٤٣٨هـ يناير عام : ٢٠١٧م ، المجلد : ٩٩ . العدد : ١)

تقرير موجز عن

عشرة أيام
في ضيافة خادم الحرمين الشريفين

إعداد : محمد فرمان الندوي

بحمد الله سبحانه وتعالى وتوفيقه العظيم تشرفت بزيارة الحرمين الشريفين ، والامكنة المقدسة ، وسعدت بالعمرة في الفترة ما بين ٢٠١٧/١/٤م – ٢٠١٧/١/١٤م ، وذلك ضمن برنامج ضيوف خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز (أطال الله بقاءه ذخراً للإسلام والمسلمين) ، للعمرة والزيارة ، ومعلوم أن ألف رجل من العالم كله يسعدون بالعمرة والزيارة طول السنة ، وتأتي الدفعات حوالي : ٢٥٠ في أربع مراحل ، ويشرف عليه معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله تعالى ورعاه ، كما تراقب عليه اللجنة التنفيذية ، وفي مقدمتهم فضيلة الشيخ عبدالله بن مدلج المدلج(الأمين العام للبرنامج) ، والدكتور زيد بن علي الدكان (نائب الأمين العام) ، والدكتور علي عبد الله الزغيبي (رئيس الشئون الخارجية بوزارة الشئون الإسلامية) والشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الريس (إدارة المنظمات والأقليات الإسلامية بوزارة الشئون الإسلامية) وغيرهم من المشايخ والعلماء .

استبشرنا ببُشرى العمرة والزيارة من سعادة أستاذنا الدكتور سعيد الأعظمي الندوي (مدير دارالعلوم لندوة العلماء ورئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي) ، كما تكرم بالموافقة على ذلك سماحة الشيخ العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي أطال الله بقاءه (رئيس ندوة العلماء ، لكناؤ ، الهند) فشكرنا الله تعالى ، ودعونا الله للخير والبركة ، وبدأنا الإعدادات اللازمة لهذه الرحلة ، وحجزنا التذاكر ، وذهبنا إلى دهلي عاصمة الهند ، وحضرنا في السفارة الهندية السعودية بدهلي الجديدة ، لاستلام تذاكر الطائرة وجواز السفر ، حيث لقينا الإخوة المخلصين في السفارة ، الذين يؤدون وظائفهم بكل نشاط وجدية

تحت إشراف سعادة السفير الدكتور سعود بن محمد الساطي حفظه الله ، وصاحب الفضيلة الشيخ الدكتور أحمد الرومي حفظه الله تعالى ورعاه – فوجدنا استقبالاً عظيماً وحفاوة كريمة منهم ، وكان جميع الإخوة المرشحين للعمرة من الهند حاضرين في صالة اللقاء ، فتعرفنا بهم ، وكان عددهم عشرين ، وقد رشحتهم السفارة السعودية في الهند من جهات مختلفة ، فاستلمنا التذاكر وجواز السفر ، ثم خرجنا إلى مطار دهلي الدولي ، وكانت طائرتنا في الساعة العاشرة حسب التوقيت الهندي ، أقلعت الطائرة على الميعاد ، وقطعنا المسافة الشاسعة في خمس ساعات ، بكل شوق ورغبة ، ووصلنا على مطار الملك عبد العزيز الدولي بجدة ، حيث كان في استقبالنا عديد من الإخوة المخلصين ، الذين سهلوا الإجراءات اللازمة على المطار ، ورحلتنا إلى المدينة المنورة بالطائرة ، وقد تم كل ذلك في أقرب وقت ، من دون تعب ولا مشقة ، وبعد قليل وصلنا إلى المطار الدولي في المدينة المنورة ، وقت صلاة الفجر ، حيث وجدنا أيضاً عدة إخوة فضلاء من وزارة الشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالمملكة العزيزة ، ووكالة الرياض للسفر والسياحة (أمثال الشيخ عبدالعزيز المبارك والشيخ بدر الحربي والشيخ سليمان الضالع من الوزارة، والشيخ محمد المسند والأخ صالح عبدالرحمن ومحمد الحربي من الوكالة) ، وأخذنا الأمتعة ، ثم أدينا صلاة الفجر على المطار ، ثم ذهبنا إلى أحد فنادق المدينة الفاخرة ، قريباً من المسجد النبوي الشريف على جهة القبلة ، واستقبلنا مسئولو البرنامج (أمثال الشيخ عبدالله المدلج والدكتور زيد بن علي الدكان ، والشيخ يوسف الحميد والشيخ منصور الهدبا) استقبالاً أخوياً إيمانياً ، بالتمور والقهوة العربية ، ثم أجروا الحوار للتلفاز مع بعض رجال الوفد ، وكان من الهند كاتب هذه السطور من ندوة العلماء لكناؤ ، ثم أفطرنا فطوراً عربياً ، واسترحنا قليلاً ، ثم ذهبنا إلى المسجد النبوي الشريف ، وتمتعنا بهذا الجو الإيماني الروحاني، الذي طالما عشنا في خياله ، و استنشقنا عبيره من بعد .

أدينا الصلوات الخمس في المسجد النبوي ، وسعدنا بتقديم السلام على الروضة المطهرة ، وعلى خليفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما ، وكان اليوم التالي يوم الجمعة ،

صلى بنا صلاة الجمعة فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البعيجان (إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف) . وكانت الخطبة حول موضوع : الابتلاء سنة من سنن الله ، وكانت الخطبة قد أيقظت العزائم وبعثت الأمل والتفاؤل بالمستقبل ، كما تناول أثناء كلامه الشيخ سلسلة من ابتلاءات الأنبياء، خاصة من السيرة النبوية وسير الصحابة رضي الله عنهم .

وكان يوم السبت للزيارة ، فذهبنا إلى مسجد قباء ، وصلينا ركعتين امتثالاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم : صلاة في مسجد قباء كعمرة (سنن ابن ماجه : ١٤١١) . ثم زرنا مقبرة شهداء أحد ، و قرأنا ما ثبت من النبي صلى الله عليه وسلم من الأدعية حول زيارة القبور ، ولا شك أن زيارة القبور تكون لسببين : تذكر الموت والآخرة ، والدعاء للموتى ، ثم ذهبنا إلى مجمع الملك فهد بن عبدالعزيز للمصحف الشريف ، وقد أنشئ المجمع عام ١٩٨٣م ، يصدر كل عام اثني عشر مليوناً من المصحف الشريف بلغات مختلفة وفق القراءات المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، و قد نشرت منه أكثر من ثلاثين ترجمة لمعاني القرآن الكريم ، واطلعنا على جهود ونشاطات المجمع بالقرص المدمج ، وقد عرف بنا المجمع مفصلاً الشيخ صالح الحسين (مدير العلاقات العامة بمجمع الملك فهد بن عبدالعزيز) . وقال : من أنشطة المجمع عقد الندوات ، والدورات التجويدية ، ومجلة دورية وغيرها .

وفي المساء كانت محاضرة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البعيجان (إمام وخطيب المسجد النبوي) في الفندق ، وكان موضوع المحاضرة : الدعوة الإسلامية : منهجها وصفاتها في الكتاب والسنة . كانت المحاضرة موفقة ، تلا الإمام حفظه الله في بداية الخطبة آخر آيات من سورة النحل ، ثم شرح الموضوع ، وأفاد الحضور بعلمه وفضله و تقواه .

وكان يوم الأحد مختصاً بزيارة معرض أسماء الله الحسنى ، وقد تم افتتاح هذا المعرض في عهد الملك عبدالله بن عبدالعزيز رحمه الله ، وبرعاية كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة المدينة المنورة يوم الثلاثاء ١٤٣٥/١/١٤هـ الموافق ٢٠١٣/١١/١٩م ، وقد شرح أمامنا غاية إقامة هذا المعرض الشيخ الدكتور براء عمر بُدير : وقال : إن أسماء الله الحسنى ليست محصورة

في تسعة وتسعين اسماً ، ودليله ما جاء في دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أو استأثرت به في علم الغيب عندك " . ومعنى الإحصاء الإيمان بها وحفظها وطلب الدعاء منها ، ويطالب منا أن نعرف الفرق بين الإسم والصفة ، فالإسم هو الرحمن الرحيم ، لكن الصفة رحمة الله ، فلا يجوز أن يدعى الله تعالى بالصفة ، وتنقسم أسماء الله الحسنى إلى ثلاثة أقسام : المحبة والحياء ، الخوف والخشية ، التعظيم والإجلال .

كما زرنا في جنبه معرض محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرض القرآن الكريم ، كلا المعرضين يمتلئان بالتحف النادرة ، والأشياء العلمية ، ويقدم معرض محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة صادقة لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم في خرائط و لوحات توضيحية حتى عمران المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم و جميع ما يتعلق بالسيرة النبوية ، و يزدان معرض القرآن الكريم بالمخطوطات القرآنية ، ونسخة من عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ونسخة مخطوطة من القرن الرابع الهجري ، كما شاهدنا في هذا المعرض على الشاشة أن القرآن الكريم كيف غيَّر العرب الأميين في مدة قليلة بأمة عظيمة ، أحدثت انقلاباً مدهشاً في كل شيئ .

وقد ساعدنا الحظ بأن نحضر نادي المدينة المنورة الأدبي قريباً من مسجد القبلتين ، ولقينا الأستاذ الدكتور عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان حفظه الله (رئيس مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز لخدمة اللغة العربية) ، وذلك بواسطة الدكتور عبدالله الوشمي حفظه الله ، وكان في هذا النادي محاضرة حول : الموقع الجغرافي في المدينة المنورة ، ألقاها الشيخ عزالدين المسكي من علماء المدينة المنورة ، واستغرقت المحاضرة نصف ساعة ، ثم بدأت سلسلة المداخلات ، التي ساهم فيها الحضور ، وكان من بينهم كاتب هذه السطور ، أبدى فرحه وسروره بالحضور في هذه المحاضرة . كما استطرد في كلامه ، فتحدث عن العلامة الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله أنه ألقى عدة محاضرات في المدينة المنورة ، ومن بينها : الشاعر محمد إقبال في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . كما قام كاتب هذه السطور بتعريف وجيز بندوة

العلماء ، ودار علومها والنادي العربي الذي يلعب دوراً كبيراً في تصقيل مؤهلات الطلاب – في رحاب ندوة العلماء – .

غادرنا المدينة المنورة يوم الاثنين في الساعة الحادية عشرة ، وقد اغتسلنا ولبسنا الإحرام في الفندق ، وقد أهدي إلينا لباس الإحرام من البرنامج ، ثم ذهبت قافلتنا إلى مسجد ذي الحليفة ، صلينا هنا ركعتين للعمرة ، ونوينا : اللهم إني أريد العمرة ، فيسّرها لي وتقبّلها مني ، كما صلينا صلاة الظهر ، ثم جلسنا على الباصات التي كانت مهيأةً من قبل البرنامج ، إلى آخر رحلتنا ، وكانت لا تفارقنا في أي مكان ، ووصلنا إلى مكة المكرمة وقت صلاة المغرب ، ثم توجهنا للعمرة ، وأدينا أركان العمرة بفضل الله تعالى ، وفرغنا منها بُعيد صلاة العشاء – تقبلها الله قبولاً حسنا – .

ولا ننسى بهذه المناسبة ذكر ما جرى ويجري في المسجد الحرام من توسعات هائلة كبيرة ، وكل ذلك بإتقان وجودة ، كانت أول توسعة في الحرم المكي في عهد الملك سعود بن عبدالرحمن رحمه الله ، ثم في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى ، حيث كان فيها التحسين والتجميل والتجهيز ، وزيادة مساحة المسجد الحرام ، وقد خصصت في التوسعة الجديدة أماكن للنساء قريبة ومنعزلة منه ، وقد ذكر الشيخ زيد بن علي الدكان (نائب المدير العام للبرنامج) : أن التكييف الخارجي في الحرم يختلف عن التكييف الداخلي في الحرم ، ويستعمل الماء فيه صافياً غير مستعمل .

وكان اليوم التالي لزيارة مصنع كسوة الكعبة ، ومعرض الحرمين الشريفين ، وكان مدير المصنع الشيخ أحمد باجودة ، ومديرٍ عمارةٍ الحرمين الشيخ أحمد الدخيلي ، وكلاهما شرحا الموضوع شرحاً وافياً ، كما رأينا بأم أعيننا النسيج وصناعته وجميع ما ينتمي إلى الكسوة والحرمين الشريفين . فقرت عيوننا برؤية هذه المشاهد ، ورجعنا فرحين مسرورين ، ثم ذهبنا إلى رؤية برج الساعة ، في جوار المسجد الحرام ، وهو برج عملاق ، وصعدنا إلى أعلى سطحه ، ولا يسمح بالصعود إليه لكل زائر ، ومن هنا رأينا مكة المكرمة و أنوارها الساطعة ، وإشراقاتها الروحانية . (حرسها الله من كيد الكائدين) .

خلال البرنامج ذهبنا إلى معرض : السلام عليك أيها النبي ، في حي النسيم ، مكة المكرمة ، على شارع عرفات ، وهو معرض ومتحف فريد من نوعه ، ويشتمل على تعريف عام بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وبرسالته السامية وشريعته السمحة بأجمل الوسائل وأحدث التقنيات ، ويقدم عبر شاشات ومجسمات ومصورات ومصنوعات ووسائل تعليمية ، تفصيلاً شاملاً لأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه ولأشكال الحياة في زمنه ، حتى كأن الإنسان يعيش مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا شك أنه مشروع إنساني عالمي ، وسفر بالأرواح إلى عالم الجمال والجلال ، ورحلة تشويقية تبهج القلوب وتسعد النفوس وتطرب المشاعر .

كما اختزن المعرض أكثر من ألفي دليل على توحيد الله تعالى ، لقينا صاحب هذا المشروع فضيلة الدكتور الشيخ ناصر بن مسفر القرشي الزهراني أطال الله بقاءه (المشرف العام للمشروع) . وقد رتب هذه المواد من القرآن والحديث مباشرة بدلائل قوية وبراهين ساطعة ، واستنفد فيه جميع قواه ، كما استخدم في إعدادها أكثر من مأتي قلم – بارك الله في حياته ، وجعله ذخراً للإسلام والمسلمين .

وقد ذهبنا إلى منتزه الكر في منطقة الطائف مروراً بمنى والمزدلفة وعرفات والمشاعر المقدسة ، ووصلنا في أقرب وقت ، وكان مسئولو البرنامج معنا ، فكانوا دليلاً على هذه الزيارات ، واستقبلونا استقبالاً حاراً ، و بعد قليل صعدنا بواسطة التلفرك إلى أعلى الجبل ، حيث كان مسجد ومضيف . فصلينا هنا صلاة الظهر ، ثم رجعنا ، وتغدينا ، وعقد بهذه المناسبة برنامج ترفيهي ثقافي مفتوح ، وأنشدت الأناشيد العربية ، وكنا نعيش في جو إيماني هادئ ، ونودي باسمنا ، فذهبنا إلى المنصة ، وساهمنا في البرنامج . وانتهى البرنامج في ساعة ونصف .

ومما زادنا فرحاً وسروراً أننا تشرفنا بسماع محاضرة لفضيلة الشيخ خالد بن علي الغامدي (إمام وخطيب المسجد الحرام) حول : التضامن الإسلامي ، في البداية تلا الإمام حفظه الله عدة آيات من سورة آل عمران بدءاً من : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ..... إلى : تِلْكَ آيَاتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ، ثم شرح الموضوع شرحاً وافياً ، وفي الختام وفّر لنا مسؤولو البرنامج فرصة المصافحة مع

الشيخ الغامدي ، وتقديم تحيات مسئولي ندوة العلماء إليه – بارك الله في حياته ، و نفع به الأمة .

وأخيراً كانت جلسة الانطباعات مع المسئولين ، وكان معنا نائب الأمين العام للبرنامج : الدكتور زيد بن علي الدكان . فأبدى كل من الوفد الهندي انطباعات سارة عن البرنامج والمملكة العربية السعودية . وسأل الشيخ الدكان عن أكبر تحد يواجهه الشعب الهندي ، فذكر الوفد أن بقاء الشخصية الإسلامية هو أكبر تحد ، ثم التعليم ، ثم الاقتصاد وغيره ، وقد ساهم فيه مساهمة بارزة فضيلة الشيخ أمين العثماني (سكرتير مجمع الفقه الإسلامي ، بالهند) كما أبدى كاتب هذه السطور عن انطباعاته في عدة نقاط :

١. التشرف بأداء العمرة
٢. زيارة الأمكنة المشروعة والتاريخية
٣. إحداث فكرة وحدة الأمة
٤. جسر لمعرفة أوضاع الأمتين العربية والإسلامية
٥. الاطلاع على إنجازات المملكة العربية السعودية وتصوير صادق لها وإزالة شبهات وشكوك عنها
٦. رؤية مشهد من مشاهد الأخوة الإيمانية
٧. زيارة العلماء والمشايخ وخاصة أئمة الحرم
٨. الحوار بين مندوبي البلدان حول قضاياهم

هذا كله من ثمرات هذا البرنامج . وقال الشيخ الدكان : إن هذا البرنامج يحدث شعور الإخاء والمحبة بين الفئات المختلفة ، ويجعلهم أن يكونوا أمة واحدة في مواجهة القضايا المعاصرة .

إن برنامج خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز للعمرة والزيارة يجري منذ ثلاث سنوات ، ويدعى للعمرة كل عام ألف شخصية بارزة في العالم الإسلامي ، وللحج ألف فلسطيني من ورثة الشهداء ، و١٢٠٠ من العالم الإسلامي . ومعلوم أن برنامج العمرة بدئ في عهد الملك سلمان بن عبدالعزيز أطال الله بقاءه ، وهذا غيض من فيضه ، الذي يدر بخيرات كثيرة لمسلمي العالم .

إلى رحمة الله تعالى

(١) العالم الكبير الشيخ سليم الله خان إلى رحمة الله تعالى

في ١٦/ من شهر يناير عام ٢٠١٧م انتقل إلى رحمة الله تعالى فضيلة الشيخ سليم الله خان مؤسس الجامعة الفاروقية في مدينة كراتشي باكستان في عام ١٣٨٧هـ الموافق عام ١٩٦٧م ، كمدرسة دينية مع مراعاة المتطلبات العصرية ، فنالت الجامعة قبولاً واسعاً بين العامة والخاصة من الناس ، وقامت بخدمات علمية ودينية وإنشائية حتى ذاع صيتها في كل مكان ، واتسع نطاق الجامعة من جميع النواحي من خلال المجهودات المخلصة التي قام بها الشيخ الراحل الكريم ، وقد اختير رئيس (وفاق المدارس العربية) من أجل خدماته العالية وإنجازاته العلمية ، وظل على هذا المنصب إلى آخر حياته ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان فضيلة الشيخ سليم الله خان من مواليد ١٩٢٦م في أسرة من المغول الآفريديين في بلدة حسن فور لوهاري بمدينة مظفر ناغر (الهند) ، وهو من خريجي جامعة دارالعلوم ديوبند في العلوم الإسلامية في عام ١٩٤٧م ، وكان من زملاء العلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء ، وذلك أيام إقامته في دارالعلوم عام ١٩٤٦م ، وقد نال الشيخ التربية الدينية لدى العالم الرباني الشيخ مسيح الله خان ، مجاز المبايعة الدينية من العلامة الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله تعالى ، أما صحيح البخاري فقد قرأه على المحدث الكبير الشيخ حسين أحمد المدني رحمه الله تعالى .

وقيض الله تعالى له أن ينال لقب شيخ الحديث لدى الأوساط التعليمية والدينية في باكستان ، و وفق إلى تخريج أجيال من العلماء وأساتذة العلوم الإسلامية في بلاده وخارجها ، ونهل من منهله العذب عدد كبير من الطلاب المحليين والوافدين .

تقبل الله تعالى أعماله الجليلة وخدماته العلمية والدينية ، وتغمده بواسع رحمته وغفر له زلاته وخطاياه ، وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وتلاميذه وجميع من استقوا من منبعه العذب الصبر ، ويوفق الجميع للدعاء الخالص له بالمغفرة .

(٢) الشيخ فضل الرحمن الواعظي الندوي في ذمة الله تعالى

فوجئت الأسر العلمية والدينية في لكهنؤ بنبأ وفاة الشيخ فضل الرحمن الواعظي الندوي ، إمام مسجد التل الكبير في لكهنؤ والقائم

على المدرسة الدينية لتدريس وتحفيظ القرآن الكريم فيه ، مع إسهاماته في الشئون الاجتماعية بطريق إيجابي من بعد وفاة الإمام السابق الشيخ واعظ الحق رحمه الله والد الراحل الكريم .

وقد حدث واقع الوفاة عشية ٩/ من شهر يناير ٢٠١٧م الموافق ١٠/ من شهر ربيع الثاني لعام ١٤٣٨هـ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ومع ذيوع خبر الوفاة اجتمع عدد كبير من المسلمين من كل طبقة في جامع التل ، إذ كانت أسرة الإمام رحمه الله تسكن في المساكن المجاورة للمسجد ، وظلت قوافل الناس ترد مسكن الإمام الواعظي لأداء سنة التعزية لأهله وأعضاء أسرته ، وفي اليوم التالي اجتمع عدد ضخم للمشاركة في الصلاة عليه بعد صلاة الظهر ، حيث امتلأت أفنية المسجد بالمصلين والمعزين ، وقد أم الصلاة عليه أحد أساتذة دارالعلوم لندوة العلماء ، لأن رئيس ندوة العلماء العام العلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي كان في رحلة دينية في الجهات الجنوبية من البلاد ، وتم تدفينه في المقبرة القريبة المجاورة للجامع .

تغمده الله تعالى بواسع رحمته ، وتقبل خدماته المخلصة في تقريب طبقات المسلمين بعضها من بعض ، وغفر له زلاته وخطيئاته وأسكنه فسيح جناته ، وألهم أهله وجميع أعضاء أسرته ومحبيه الصبر الجميل .

(٣) الدكتور محمد هاشم القدوائي إلى رحمة الله تعالى

غادر إلى رحمة الله تعالى الدكتور محمد هاشم القدوائي أستاذ جامعة عليكراه الإسلامية سابقاً وكبير خبراء التعليم والتربية ، وعضو البرلمان الهندي في ١٠/ من شهر يناير ٢٠١٧م ، وذلك في مستشفى " أبولو " في دلهي حيث كان يُعالج ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وكان بالغاً من العمر نحو ٩٥/ عاماً .

بذل حياته كلها في مجالات التعليم والتربية ، وظل أستاذاً في قسم السياسة بجامعة عليكراه إلى مدة طويلة ، ومن مزاياه أنه كان قد نظم أوقات العمل بدقة كبيرة فلا يخل بذلك ، ومن ثم كان نموذجاً للأساتذة والمعلمين في الجامعات والكليات .

كان الراحل الكريم ابن أخ الأديب الألمعي العلامة عبد الماجد الدريابادي صاحب تفسير القرآن الكريم الشهير ، كما كان صهره (زوج ابنته) ، ومع ذلك أنعم الله عليه بالقبول في الأوساط العلمية والدينية ، خلف وراءه مؤلفات عديدة قيمة حظيت بالقبول .

تم تدفينه في مقبرة عليكراه القريبة من منزله فيها .

تغمده الله تعالى بواسع رحمته وتقبل أعماله وغفر له زلاته وأسكنه فسيح جناته ، وألهم أهله وجميع أعضاء أسرته الصبر الجميل .

(٤) الشيخ لطيف أحمد البخاري إلى رحمة الله تعالى

أفادت الأنباء بوفاة الشيخ لطيف أحمد البخاري في ليلة الأربعاء ٣/ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ الموافق أول فبراير ٢٠١٧م ، أثناء معالجة في مستشفى لكهنؤ .K.G.M.U ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم صهر فضيلة الشيخ عبد السلام الفاروقي نجل العلامة الشيخ عبد الشكور الفاروقي رحمه الله تعالى المعروف بإمام أهل السنة في تاريخ هذه البلاد ، كان طريح الفراش من مدة طويلة ، فآثرت به رحمة الله تعالى ، وقد خلّف وراءه أسرة حافلة بالأهل والبنين والبنات .

ونحن إذ نعزي فضيلة الشيخ عبد العليم الفاروقي حفيد إمام أهل السنة ونجل الشيخ عبد السلام الفاروقي رحمه الله تعالى ، نتضرع إلى الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ، ويغفر له ويسكنه فسيح جناته ، ويلهم أهله وجميع المحبين والأقرباء الصبر الجميل .

(٥) الشيخ نظر محمد البهرائشي إلى رحمة الله تعالى

أفادت الجرائد اليومية بوفاة فضيلة الشيخ نظر محمد البهرائشي عشية يوم الثلاثاء ٢/ من شهر جمادى الأولى لعام ١٤٣٨هـ ، وذلك بعد معاناته لمرض تنفسي رئوي أصيب به منذ مدة ، بالغاً من العمر ٩٥ عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ نظر محمد من كبار الخطباء المعاصرين ، يُدعى إلى اجتماعات دينية جماهيرية من قبل المراكز العلمية والدعوية ، فكان يستفيد منه الناس معاني دينية وإيمانية ، ويصلحون ما كان ينقصهم من أمور الدين والحياة الإيمانية .

كانت وفاته خسارة وخاصة في الآونة الحاضرة التي يكون فيها أحوج إلى استماع مفاهيم الدين والعمل بالدين .

تغمده الله تعالى بواسع رحمته وتقبل مجهوداته في سبيل العلم والدين وغفر له وأحسن إليه وأسكنه فسيح جناته ، وألهم الجميع الصبر الجميل . (والله ولي المتقين) .

(٦) وفاة الطالب عمران خورشيد في حادث اصطدام

لقي الطالب عمران خورشيد طالب السنة الرابعة (الشريعة) في دارالعلوم لندوة العلماء يوم الاثنين ذاهباً مع زميله إبراهيم إلى كانفور ، راكباً على دراجته التي اصطدمت بحافلة وسببت وفاته من ساعته ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وقد أرسلت جثته مع أخيه إلى موطنه كولكاتا بناءً على طلب ملح من والديه .

غفر الله له وألهم والديه وأقاربه الصبر الجميل ، وجعله ذخراً لهم في الآخرة . (إن الله مع الصابرين) .

❖❖❖

Declaration of Ownership & Other Details
Form 4 Rule 8

Name of Paper	:	**AL-BAAS-EL-ISLAMI**
Place of Publication	:	Lucknow
Periodicity of Publication	:	Monthly
Chief Editor	:	**SAEED AL-AZAMI AL-NADWI**
Nationality	:	Indian
Address	:	**AL-BAAS-EL-ISLAMI, Tagore Marg, Lucknow (U. P.)**
Printer/Publisher	:	**ATHAR HUSAIN**
Nationality	:	Indian
Address	:	**21, Adnan Palli, Near Hira Public School, Ring Road, Dubagga, Post: Kakori, Lucknow**

Ownership : Majlis Sahafat Wa Nashriyat, Lucknow
I, ATHAR HUSAIN, Printer Publisher, declare that the above information is correct to the best of my knowledge and belief.
MARCH 2017